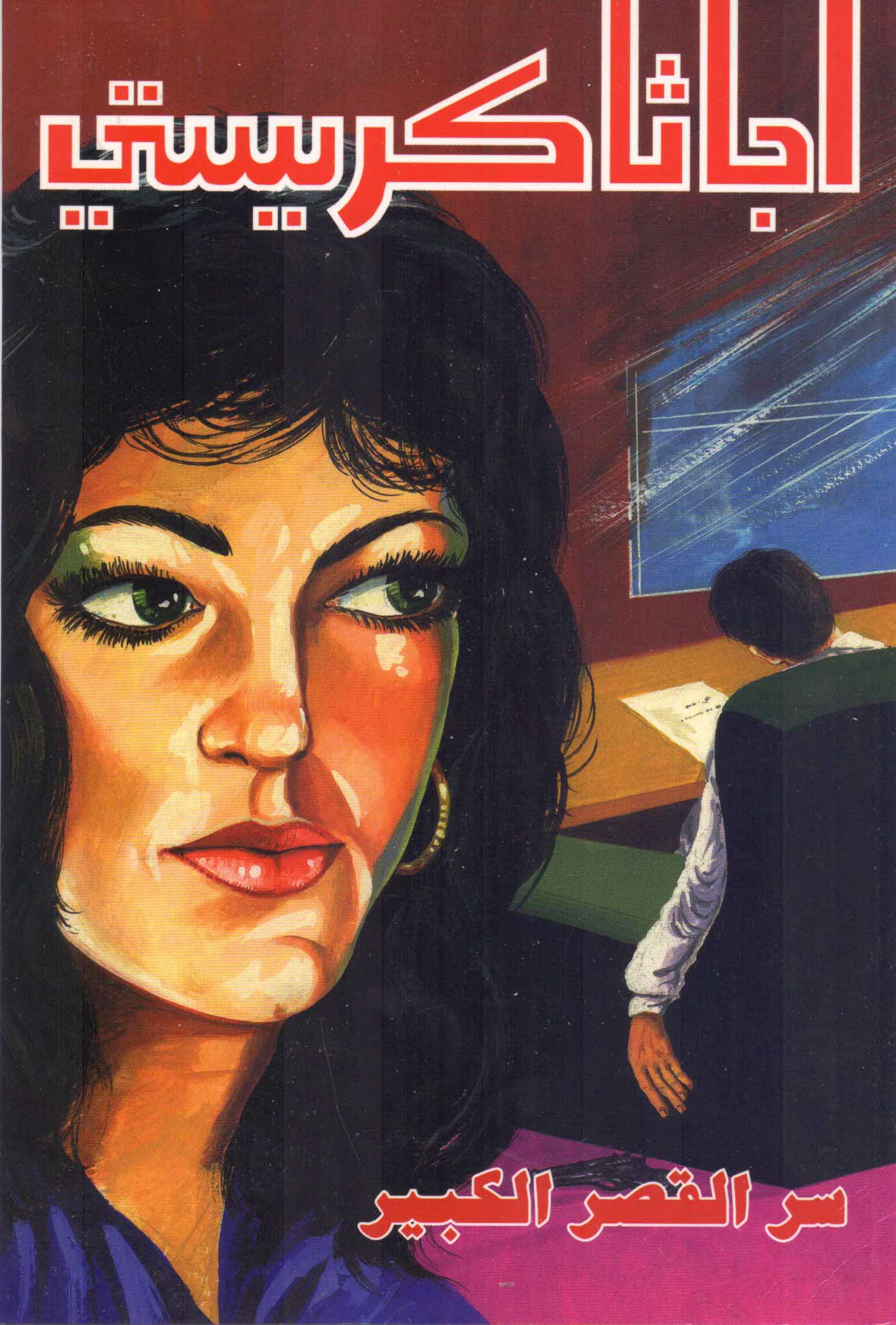

اجاثا كريستي
سر القصر الكبير



أجاثا كريستي

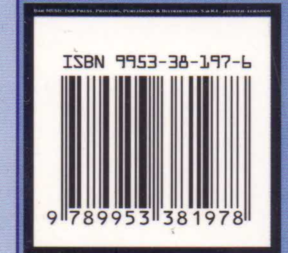
☐ الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى 103 لغات.

☐ بيع من كتبها أكثر من 650 مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

☐ كاتبة روايات بوليسية، ولدت في جنوب غرب إنجلترا من أب أميركي وأم إنجليزية، لكنها تقول " إني إنجليزية ". تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصّبها ملكة عليهم جميعاً. فرواياتها كبيرة متكاملة، فيها عشرات الشخصيات الحيَّة التي يشعر بها الإنسان دائماً. لا تترك شخصية تظهر في رواية لها دون أن توضح كل معالمها في لمسات سريعة طريفة مهما كان دور هذه الشخصيَّة في الرواية، كما تميَّزت أيضاً بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. إنّها كاتبة فاضلة ليس في كتاباتها ما يخجل الآباء أن يطلع عليه الأبناء. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضا أهدافاً إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

ثمن النسخة

البلد	الثمن	البلد	الثمن
لبنان	3000 ل. ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل. س.	مسقط	1,5 ريال
الأردن	1,5 دينار	مصر	10 جنيه
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1,5 دينار	اليمن	400 ريال



سر القصر الكبير

برنارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرَّبة

سر القصر الكبير

(50)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

المركز الدولي

للصحافة والنشر والتوزيع ش.م.م.

ص.ب 374 جونيه - لبنان

تلفون 00 961 9 212 666 فاكس 00 961 9 212 665

البريد الإلكتروني info@darmusic.net

www.darmusic.net

قام بعون الله الأستاذان / أميرة عبد القادر - شريف عبده عبد الرشيد

مشكورين بمراجعة هذا الكتاب وتدقيقه وتصويب أخطائه اللغوية والمطبعية.

الغلاف بريشة الفنان

سمير غنطوس

- 1 -

رجل غريب الأطوار

كانت الشقة من الطراز العصري، وأثاثها حديث، وكل ما فيها من المقاعد والموائد مربع أو مستطيل ، وقد جلس إلى المكتب القائم في ركن إحدى الغرف رجل في الحلقة الخامسة من عمره ، قصير القامة، نحيف الجسم، رأسه هو الشيء الوحيد غير المربع أو المستطيل في المكان؛ لأنه كان في شكل البيضة. وكانت بين يدي الرجل رسالة يبدو أنها أثارت فضوله واهتمامه؛ لأنه راح يتلوها للمرة الثانية، وقد جاء فيها:

«عزيزي السيد "**بوارو**"

لقد حدث أمر يجب أن يعالج بكثير من الحذر واللباقة، ولما كنت قد سمعت الكثير عن براعتك، وسلامة تقديرك، فإنني قررت أن أضع المشكلة كلها بين يديك. إن هناك من الأسباب ما يحملني على الاعتقاد بأنني ضحية حادث اختلاس خطير، ولكني لا أريد إبلاغ الأمر إلى البوليس؛ لاعتبارات عائلية، وأرجو أن تكون على استعداد للقدوم بمجرد استلام برقية مني، وأكون شاكرا إذا لم تكلف نفسك عناء الرد على هذه الرسالة».

المخلص

"**جرفيز جور**"

قرأ "**هركيول بوارو**" هذه الرسالة وأعاد قراءتها ، ثم رفع حاجبيه حتى أوشكا أن يغيبا وراء خصلة الشعر المتدلية فوق جبينه. وبعد لحظة نهض إلى خزانة المكتب وتناول كتابا ضخما راح يقلب صفحاته حتى وقع على بغيته.

السيد "**جرفيز فرنسيس كزافييه جور**" . من أسرة "**جور**" التي يرجع تاريخها إلى القرن السادس عشر، ولد سنة 1901، وتزوج سنة 1930 بالسيدة "**فاندا إليزابيث**" ابنة العميد "**فردريك أربتنوت**" ، تلقى علومه في كلية "**أيتون**" ، وخدم في الحرب العالمية الثانية، هوايته الصيد والرحلات، عضو في نادي الفرسان، ويقيم في أملاكه الواسعة في "**هامبورد**" بمقاطعة "**وستشاير**" . هز "**بوارو**" رأسه ببطء؛ فإن هذه البيانات المقتضبة لم تشبع فضوله إلى معرفة المزيد عن الرجل الذي بعث إليه بتلك الرسالة الغامضة. استغرق في التفكير لحظة، ثم فتح درجا وتناول حزمة صغيرة من بطاقات الدعوة جعل يفحصها باهتمام، وأشرق وجهه فجأة وغمغم:

– هذا حسن. لابد أنني سأجده هناك. هتفت "الدوقة" وهي تستقبل ضيفها:

– أهلا بك وسهلا يا سيد "**بوارو**" ، يسرني أنك وجدت من وقتك متسعا للحضور. فغمغم "**بوارو**" وهو يحني قامته باحترام:

– إن السرور لي يا سيدتي "الدوقة" . وبعد عبارات الترحيب والمجاملة تسلل "**بوارو**" بين المدعوين وكلهم من ذوي الشخصيات البارزة في المجتمع الإنجليزي. وقد عرف "**بوارو**" بينهم بعض رجال السلك السياسي، وإحدى الممثلات المشهورات، وانتهى به المطاف إلى الشخص الذي جاء خصيصا لمقابلته. هتف به:

– أهذا أنت يا "**ستروبت**"؟ كنت واثقا بأنني سأجدك هنا. فأجاب "**ستروبت**" :

– إن "الدوقة" صديقة قديمة، وقلما تفوتني إحدى حفلاتها. لقد عرفتها منذ عشرة أعوام حين كنت أقضي الشتاء في "**كورسيكا**" . . آه! ليتك رأيتها

في تلك الأيام ! كان "**سترويت**" مولعا بالاختلاط بذوي الألقاب، ولكنه لم يكن الدعي المتحذلق الذي لا يجد متعة في صحبة غيرهم. كان الرجل في الواقع من هواة دراسة الطبيعة البشرية أينما تكون، وإذا صح أن المتفرج الهاوي يعرف كل أصول اللعبة التي يشهدها فإن "**سترويت**" كان أكثر من المتفرج العادي، كان ناقدا حصيفا، يرى ويسجل في ذاكرته كل ما يصل إلى سمعه، أو يقع تحت بصره. راح الرجل يحدث "**بوارو**" عن أهم الفضائح التي تشغل الطبقة الراقية في تلك الفترة.. ذكر له تفصيلات لم يكن "**بوارو**" يعرفها: عن مغامرات ابنة أحد الأميرات، وعن سلوك أحد رجال الأعمال المعروفين.. واستطاع "**بوارو**" أخيراً أن يقحم اسم السيد "**جرفيز جور**" في الحديث، فهتف "**سترويت**" على الفور:

– هو ذو شخصية عجيبة، إنهم يلقبونه بـ"آخر النبلاء".

– معذرة.. إنني لا أفهم ماذا تعني؟ فأحنى "**سترويت**" قامته؛ لكي يهمس في أذن "**بوارو**":

– هذه دعابة.. مجرد دعابة.. فالرجل في الواقع ليس آخر النبلاء الإنجليز.. ولكنه يمثل نهاية عهد في طريقه إلى الزوال.. عهد النبلاء المتعجرفين المخبولين، الذين تحفل بهم قصص القرن الماضي. ومضى يوضح ما يرمي إليه، فقال:

إن "**جرفيز جور**" طاف حول العالم في مركب شراعي، وقام برحلة إلى القطب الشمالي، ودعا أحد النبلاء من هواة السباق إلى المبارزة، وتراهن على صعود سلم أحد القصور الكبيرة ممتطيا صهوة جواده، ووثب مرة من مقصورته إلى خشبة المسرح واختطف ممثلة معروفة وهي تقوم بدورها في المسرحية.. إلخ. كانت مغامرات السيد "**جرفيز جور**" لا حصر لها.

إنه ينتمي إلى أسرة قديمة عريقة، اشترك مؤسسها في الحروب الصليبية، ولكن يبدو أن سلالتها ستنقرض؛ لأن "**جرفيز جور**" هو آخر أفرادها.

– وهل فقد كل ممتلكاته؟

– أبدا.. إنه على جانب عظيم من سعة الثراء، ويمتلك عدة عمائر، ومنجماً للفحم، وله نصيب كبير في منجم في "**بيرو**" يدر عليه أرباحا طائلة.. إنه في الحق رجل محظوظ.. كل شيء تمسه يده يتحول إلى ذهب.

– لقد تقدمت به السن دون شك؟ تنهد "**سترويت**" وأجاب وهو يهز رأسه:

– نعم.. مسكين "**جرفيز**".. سيقول لك أكثر الناس إنه معتوه.. وهذا صحيح إلى حد ما، ولا أعني أنه مجنون، وإنما أعني أنه شاذ، غريب الأطوار.

– يُخيَّل إليّ أنه شديد الغرور.

– هذا صحيح.. إن الدنيا في نظره معسكران، هو أحدهما.. والناس جميعًا في المعسكر الآخر.

– هل مرد ذلك إلى مبالغته في تقدير أهمية أسرته؟

– نعم.. إن الغرور مرض مزمن في أفراد الأسرة، إنهم يعتقدون أنهم فوق القانون، وقد ورث "**جرفيز**" هذا المرض في أسوأ صوره.. إذا أصغيت إليه وهو يتكلم يُخيّل إليك أنه إله. فأطرق "**بوارو**" برأسه مفكرا، وقال:

– نعم.. هذا ما توقعت سماعه، لقد جاءتني منه اليوم رسالة غريبة لا تتضمن طلبا، وإنما تتضمن أمرا. فأضاف "**سترويت**" وهو يبتسم:

– أمرا ملكيا.

– نعم. وقد خُيل إليّ أنه يتصورني أحد خدمه أو مرؤوسيه. إنه لا يستطيع أن يتصور أن "**هركيول بوارو**" رجل كثير المشاغل، وأنني قد لا أستطيع ترك

جميع أعمالي والإسراع إليه كالكلب الأمين لمجرد أنه أومأ إليّ بالحضور. كأنما يكفيني أنه شرفني باستدعائي إليه. فعض "**سترويت**" على شفته؛ ليمنع نفسه من الابتسام، كان يعلم أن كلا من الرجلين – "**جرفيز جور**" و"**هركيول بوارو**" – أشد غرورا من الآخر. غمغم قائلا:

– إذا كان قد استدعاك لأمر مهم، فلا شك أنك... فقاطعه "**بوارو**":

– كلا.. كلا.. ليس الأمر مهما على الإطلاق.. كل ما هنالك أنه طلب إليّ – أو على الأصح أمرني – أن أضع نفسي تحت تصرفه فيما إذا احتاج إليّ. فسأله "**سترويت**":

– هل أفهم من ذلك أنك رفضت؟

فأجاب "**بوارو**" في بطء:

– لم أفكر في الأمر بعد.

– ولكنك سترفض. فقطب "**بوارو**" حاجبيه وظهرت على وجهه علامات الحيرة، ثم قال:

– كيف أعبر لك عن شعوري؟ لقد أحسست لأول وهلة بأنني يجب أن أرفض.. ولكن.. الواقع أنني لا أعلم.. إن في الأمر شيئًا يثير فضولي.

– أحقًا تقول؟ فاستطرد "**بوارو**" قائلاً:

– يُخيّل إليّ أن رجلا كالذي وصفته لابد أن يكون له مواطن ضعف تعرضه للأخطار. فهتف "**سترويت**" في دهشة:

– مواطن ضعف! كان يعلم عن يقين أن الضعف ليس من الصفات التي يمكن أن تنسب إلى "**جرفيز جور**"، ولكنه كان رجلا سريع الفهم، قوي الملاحظة. فاستطرد قائلاً في بطء:

– أظن.. أظن أنني فهمت ما تعني.

– إن من كان على شاكلة هذا الرجل يشعر بأنه محصن في درع، وأي درع، درع لا تقاس به دروع أسلافه الذين قاتلوا في الحروب الصليبية، درع من الكبرياء والغرور، والصلف، والثقة بالنفس، ومثل هذا الدرع قد يقي من السهام إلى حد ما، وأعني السهام التي ترمي بها الحياة اليومية كل إنسان، ولكن الخطورة هي في أنّ الرجل المدرع قد لا يدرك في بعض الأحيان أن هناك هجوما موجها إليه؛ لأنه لا يرى، ولا يسمع، ولا يشعر إلا ببطء شديد، شأن الرجل المختفي في درعه. تمهل "**بوارو**" قليلا، ثم سأل باهتمام:

– وممن تتألف أسرة السيد "**جرفيز جور**"؟

– تتألف من زوجته "**فاندا**" التي تنتمي إلى أسرة "**أربتنوت**" وهي امرأة فاتنة، شديدة الغموض، ولكنها تحب زوجها وتخلص له، وأعتقد أنها تؤمن بالعلوم الروحية، فهي تتحلى بالجعارين، وتزعم أن روح إحدى ملكات الفراعنة قد تقمصت جسدها. ثم هناك "**روث**"، ابنتهما بالتبني؛ لأنهما لم يرزقا بأولاد.. وهي فتاة عصرية تتمتع بقسط كبير من الجمال والذكاء... أولئك هم كل الأسرة.. ولكن يوجد كذلك "**هيجو ترانت**" ابن "**باميلا جور**" شقيقة "**جرفيز جور**" التي اقترنت بـ"**ريجي ترانت**" ورزقت منه بـ"**هيجو**"... و"**هيجو**" يتيم الآن، ولا يجيز له القانون أن يرث لقب الأسرة، ولكني أعتقد أنه سيظفر في النهاية بالنصيب الأكبر من ثروة "**جرفيز**". فأطرق "**بوارو**" برأسه مفكرا لحظة، ثم سأل:

– هل يحزن السيد "**جرفيز**" أنه لم يرزق بابن يرث لقب الأسرة؟

– أعتقد ذلك.

– هل هو شديد الحرص على بقاء اسم الأسرة؟

– نعم. صمت "**ستروويت**" قليلا، ثم سأل في فضول واضح:

– هل لديك فكرة معينة عن سبب دعوته لك؟ فهز "**بوارو**" رأسه ببطء وأجاب:

– لا.. ليست لديّ أية فكرة عن السبب، ولكني مع ذلك أعتقد أنني سألبي دعوته.

- 2 -

الرجل الذي تخلف

جلس "**هركيول بوارو**" في ركن إحدى مركبات الدرجة الأولى، بالقطار السريع الذي يطوي الأرض بين الحقول، ثم أخرج من جيبه برقية بسطها بين يديه وقرأ فيها هذه الكلمات: «استقل قطار الساعة الرابعة والنصف من محطة "**سان بنكراس**"، اطلب من عامل التذاكر أن يوقف القطار في "**ويمبرلي**".

"**جرفيز جور**"

طوى "**بوارو**" البرقية ووضعها في جيبه.. كان عامل التذاكر رجلا طيبا متواضعا، فلما علم أنه يقصد إلى "**هامبورد**" أدرك على الفور أنه يقصد مزارع السيد "**جرفيز جور**"، وقال:

إن القطار السريع يتوقف دائما في "**ويمبرلي**" متى طلب ضيوف السيد "**جرفيز جور**" ذلك. ثم استطرد قائلا:

– وذلك امتياز خاص يتمتع به هذا النبيل. ومنذ تلك اللحظة لم يمر عامل التذاكر بالمركبة إلا مرتين: الأولى لكي يؤكد لـ"**بوارو**" أنه سيبذل

قصارى جهده حتى لا يدع أي راكب آخر يزعجه في مركبته، والثانية لكي يعلنه بأن القطار سيصل إلى "**ويمبرلي**" متأخرا عن موعده بعشر دقائق، وكان من المقرر أن يصل في الساعة السابعة والدقيقة الخمسين، ولكن "**بوارو**" لم يغادره في محطة "**ويمبرلي**" الريفية الصغيرة إلا في الساعة السابعة والدقيقة الثامنة والخمسين. وقبل أن يطلق القطار السريع صفارته ، ويتحرك مستأنفا سيره شمالا، رأى "**بوارو**" سائق سيارة في بزة خضراء داكنة يدنو منه ويسأله:

– هل لي شرف التحدث إلى السيد "**بوارو**"؟ فأطرق "**بوارو**" برأسه علامة الإيجاب، وتناول السائق الحقيبة الصغيرة من يده،وتقدمه إلى خارج المحطة وهناك رأى "**بوارو**" سيارة فخمة من طراز "**الرولز رويس**" فتح السائق بابها، وانتظر حتى صعد إليها "**بوارو**"، ثم ألقى على ركبتيه غطاء سميكا من الصوف؛ ليقيه من البرد. جلس السائق أمام عجلة القيادة. وتحركت السيارة وبعد رحلة قصيرة وسط الحقول انحرفت السيارة في طريق جانبي ومرت من باب كبير، وواصلت السير في بطء بين مسالك الحديقة حتى وصلت إلى القصر العتيق، وتوقفت أمامه. هناك كان رئيس الخدم في بزته الرسمية واقفا ينتظر على أولى درجات السلم الرخامي الكبير.. قال حالما غادر "**بوارو**" السيارة:

– السيد "**بوارو**"؟ تفضل يا سيدي. وسار به في بهو كبير، ثم فتح بابا يؤدي إلى قاعة الاستقبال المترامية الأطراف وأعلن قدوم الزائر بقوله:

– السيد "**هركيول بوارو**". كان في الصالة عدد من الناس في ثياب السهرة. ولاحظ "**بوارو**" على الفور أن أحدا لم يكن يتوقع قدومه، فقد تحولت إليه جميع العيون، وفيها نظرات تنم عن الدهشة. ثم خرجت من بين

القوم سيدة طويلة القامة، قد وخط الشيب شعرها الأسود فتقدمت نحوه في شيء من التردد. أدرك "**بوارو**" أن هذه السيدة هي السيدة "**جور**" ربة القصر فأحنى قامته وقبَّل يدها باحترام، وقال:

– معذرة يا سيدتي.. يؤسفني أن القطار الذي قدمت به قد تأخر كثيرا عن موعده. أجالت السيدة البصر بين المدعوين وغمغمت قائلة:

– أعتقد أنك تعرف جميع الموجودين. ولم يكن الأمر كذلك، ولكنها لجأت إلى هذه الطريقة المهذبة؛ لتوفر على نفسها مؤونة تقديم المدعوين، وإرهاق عقلها بتذكر أسمائهم الصحيحة. ثم تخلصت من الحرج بتقديم إحدى الموجودات.. قالت:

– أقدم إليك ابنتي.. "**روث**". وجد "**بوارو**" أمامه فتاة طويلة القامة سوداء الشعر كالسيدة الطاغية، وأحس "**بوارو**" على الفور بأن الفتاة تتمتع فضلا عن ذلك بذكاء، وسرعة خاطر، وبأن التواضع وسعة الصدر ليسا من أبرز صفاتها. قالت الفتاة بحماسة مصطنعة:

– ما أجمل أن يكون السيد "**بوارو**" بيننا!! هذه مفاجأة يجب أن أشكر أبي عليها. فقال "**بوارو**":

– إذن لم يكن لك علم بقدومي يا آنسة؟

– الحق أنه لم تكن لديّ أية فكرة.. إنني مولعة بجمع توقيعات العظماء والمشاهير، وأرجو أن تشرفني بتوقيعك بعد العشاء. في هذه اللحظة دق ناقوس في البهو وأعلن كبير الخدم أن الطعام قد أعد... ولم يكد كبير الخدم ينطق بآخر كلمة، حتى حدث شيء عجيب، فإن هذا الرجل الذي تحتم عليه تقاليد وظيفته أن يبدو دائما جامد الوجه، لا تعبر قسماته عن شيء.. قد ظهرت على وجهه فجأة علامات الدهشة الشديدة.. كان هذا التحول الذي

طرأ عليه خاطفا.. ثم عاد وجهه إلى جموده المألوف. كان من المستحيل أن يلاحظ إنسان هذا التحول الخاطف، ما لم تكن عيناه قد تعلقتا بوجه كبير الخدم في تلك اللحظة.. وقد تصادف أن كان "**بوارو**" ينظر إليه فلاحظ.. وعجب. وقف كبير الخدم بباب قاعة الطعام وقفة المتردد، وهتفت السيدة "**جور**":

– هذا عجيب حقًّا! ولا أدري ماذا يجب أن أفعل. هنا تحولت "**روث**" إلى "**بوارو**"، وقالت له:

– إن سبب ما تلاحظه من توتر يا سيد "**بوارو**" هو أن أبي قد تأخر عن موعد العشاء لأول مرة منذ عشرين عامًا. وعادت السيدة تقول:

– نعم.. هذا عجيب فإنه لم يحدث قط أن تأخر "**جرفيز**" عن.... وقبل أن تتم عبارتها، اقترب منها رجل متقدم في السن يمشي مشية العسكريين، وقال لها وهو يضحك ملء شدقيه:

– هو ذا "**جرفيز**" قد تخلف عن موعده أخيرًا!!! سأعرف الآن كيف أسخر منه، كان يعتقد دائما أنه في حرز من الأخطاء التي يقع فيها الآخرون. فهتفت السيدة "**جور**" بصوت خافت ينم عن الحيرة الشديدة:

– ولكن "**جرفيز**" لا يتخلف أبدًا. وكان الاضطراب الذي أوجده هذا الحدث التافه خليقا بأن يبعث على السخرية والضحك، ولكن "**بوارو**" الذي تعود ألا يأخذ الأمور بظواهرها أحس بأن هذا الاضطراب يخفي وراءه نوعا من القلق.. والخوف. ولقد بدا عجيبا حقًّا ألا يتقدم "**جرفيز جور**" بنفسه لاستقبال الضيف الذي استدعاه بهذه الطريقة الغامضة. وكان من الواضح أن القوم في حيرة لا يدرون ماذا يجب أن يفعلوا.. فلقد وجدوا أنفسهم في موقف لم يسبق له مثيل فأسقط في أيديهم.. وأخيرا تشجعت السيدة

"**جور**" وتهيأت لمعالجة الموقف وقالت تحدث كبير الخدم:

– هل تعلم يا "**ستيل**" ما إذا كان سيدك.. ولم تتم عبارتها، ونظرت إلى كبير الخدم في تساؤل وترقب.. كان "**ستيل**" قد ألف طريقتها الغامضة في الاستفسار، فأجابها عن السؤال الذي لم تتمه قائلا:

– لقد هبط السيد "**جرفيز**" في الساعة الثامنة إلا خمس دقائق، وذهب مباشرة إلى مكتبه. فغمغمت وهي لا تزال شاردة البصر:

– آه! هل تظن إذن أنه لم يسمع صوت الناقوس؟

– لابد أنه سمعه يا سيدتي؛ فالناقوس أمام باب غرفة المكتب مباشرة، ولم أعلم أن السيد "**جرفيز**" لا يزال في مكتبه، وإلا كنت أنبأته بنفسي بأن الطعام قد أعد.. هل أنبئه الآن يا سيدتي؟ وجدت السيدة "**جور**" في هذا السؤال مخرجا من حيرتها هتفت:

– شكرا لك يا "**ستيل**".. نعم.. أرجوك أن تفعل. وما إن انصرف كبير الخدم حتى استطردت قائلة:

– إن "**ستيل**" كنز لا يعوض، وأنا أعتمد عليه كل الاعتماد.. ولا أدري حقًّا ماذا أفعل بدونه. تمتم بعضهم بكلمة تأييد وموافقة، ولكن أحداً لم يتكلم، وأجال "**بوارو**" البصر بين المدعوين.. وأحس بالقلق والتوتر اللذين سادا المكان فجأة.. كانت النظرة السريعة الفاحصة التي أدارها حوله كافية لأن يلم إلماما بجميع المدعوين.. فهناك رجلان متقدمان في السن، أحدهما ذو المشية العسكرية، والثاني نحيل، طويل، أصلع الرأس. وهناك شابان يختلف كل منهما عن الآخر اختلافا تاماً، أحدهما له شارب صغير، وتبدو على وجهه دلائل الصلف، والاعتداد بالنفس، ولعله ابن أخت السيد "**جرفيز جور**"، وثانيهما وسيم أنيق، يبدو – وعلى الرغم من عنايته بمظهره–

أنه لا ينتمي إلى هذا المجتمع الأرستقراطي. كذلك كانت هناك سيدة في الحلقة الرابعة من عمرها تخفي عينيها وراء عوينات سوداء، وفتاة في مقتبل العمر ذات شعرأحمر. وعاد "**ستيل**".. كان جامد الوجه كالعهد به، ولكن "**بوارو**" رأى في عينيه نظرة قلق لم يستطع إخفاءها. قال كبير الخدم:

– معذرة يا سيدتي.. لقد وجدت باب المكتب مغلقا. فهتف الشاب الوسيم الأنيق بصوت ينم عن الانفعال:

– وجدت الباب مغلقا؟ ثم استطرد وهو يخطو إلى الأمام:

– هل أستطلع الأمر بنفسي؟ وهنا تصدى "**بوارو**" للموقف، وفعل ذلك بهدوء فلم يجد أحد غرابة في أن يتولى الغريب الذي قدم لتوه الأمر فجأة على هذا النحو، قال:

– هلموا بنا إلى غرفة المكتب.

ثم استطرد موجها حديثه إلى "**ستيل**":

– أرجو أن ترشدنا إلى الطريق. فأطاع "**ستيل**" وسار "**بوارو**" في أثره، وتبعه الآخرون كأنهم قطيع من الخراف. اجتاز بهم "**ستيل**" الصالة، ومر بساعة أثرية كبيرة مثبتة بالجدار، وبالناقوس المثبت بأحد الأعمدة، وسار بهم في دهليز ينتهي بباب. وهنا أسرع "**بوارو**" حتى سبق "**ستيل**" ومد يده إلى مقبض الباب وعالجه برفق، ودار المقبض ولكن الباب لم يفتح. طرق "**بوارو**" الباب بلطف، ثم بشدة، وأخيرا جثا على ركبتيه، ووضع عينه على ثقب القفل، وبعد لحظة، نهض واقفا، وقال وعلى وجهه دلائل الجد والاهتمام:

– أيها السادة، يجب أن نفتح هذا الباب عنوة، وفورا. وأومأ إلى الشابين؛ فقد كانا أطول الموجودين قامة، وأوفرهم قوة، فدفعا الباب بكتفيهما.. وكررا ذلك عدة مرات قبل أن يكسر القفل، ويفتح الباب على مصراعيه.

ونظر القوم إلى الداخل. وجمدوا في أماكنهم ، كان النور يسطع في الغرفة.. وكان هناك مكتب خشبي ضخم بالقرب من الجدار الأيسر، وقد جلس السيد "**جرفيز جور**" إلى جوار المكتب وظهره إلى الباب، وجسمه ورأسه مائلان إلى يمين المقعد، ويده اليمنى مدلاة إلى جانبه.. وتحتها – على الأرض – مسدس صغير يتألق في النور. لم تكن هناك حاجة إلى الحدس والتخمين؛ فالموقف واضح لا شك فيه.. لقد انتحر السيد "**جرفيز جور**" بأن أطلق الرصاص على نفسه.

- 3 -

غموض

انقضت لحظة ساد فيها صمت رهيب، وتسمر القوم أمام الباب، وارتسمت الدهشة على وجوه البعض، والهلع على وجوه آخرين. كان "**بوارو**" أول من تحرك، فدخل قاعة المكتب وهو يمشي في حذر. وفي الوقت نفسه، صاح "**هيجو ترانت**" قائلاً:

– يا إلهي! يا إلهي! لقد أطلق العجوز الرصاص على نفسه.. وسمع القوم أنينا عميقاً. كانت السيدة "**جور**" تئن وتهتف باسم زوجها، فنظر "**بوارو**" وراءه وقال بحدة:

– أبعدوا السيدة "**جور**" من هنا، إنها لا تستطيع أن تعمل شيئًا. فتقدم الشيخ ذو المشية العسكرية من السيدة "**جور**" وهو يغمغم:

– تعالي معي يا "**فاندا**".. تعالي أيتها العزيزة.. لقد انتهى الأمر، وليس

في استطاعتك عمل شيء.. تعالي يا "**روث**" إن والدتك بحاجة إلى عنايتك. ولكن "**روث**" كانت قد دخلت الغرفة ووقفت بجوار "**بوارو**" الذي انحنى فوق الجثة الهامدة على المقعد ، جثة الرجل الضخم الجسم، ذي اللحية الصغيرة البيضاء. قالت الفتاة بصوت خافت، ولكنه ثابت النبرات:

– هل أنت واثق بـ.. بأنه مات؟ نظر إليها "**بوارو**" بحدة، وأدهشه ألا يرى على وجهها شيئًا من دلائل الحزن. قالت المرأة ذات العوينات السوداء:

– إن والدتك بحاجة إليك أيتها العزيزة.. ألا تظنين أن.. وقبل أن تتم عبارتها، هتفت الفتاة ذات الشعر الأحمر:

– إذن ما سمعناه لم يكن صوت سيارة، أو صوت انطلاق غطاء زجاجة ما.. بل كان صوت طلق ناري.. هنا تحول "**بوارو**" إلى القوم، وقال في هدوء:

– أرجو أن يتصل أحدكم بالبوليس لإبلاغ.. فصاحت "**روث**" في عنف:

– كلا.. فقال العجوز الأصلع:

– أظن أنه لا مناص من ذلك.. هل لك أن تتصل بالبوليس يا "**بوارو**"؟ وأنت يا "**هيجو**".. فقال "**بوارو**" محدثا الشاب ذا الشارب الصغير:

– هل أنت "**هيجو ترانت**"؟ لعل من الأفضل أن يغادر الجميع هذه الغرفة فيما عدا أنا وأنت. ومرة أخرى لم يعترض أحد.. وأخذ الشيخ الأصلع في إجلاء المدعوين، ولم يبقَ في الغرفة سوى "**بوارو**" و"**هيجو ترانت**". قال الأخير فجأة:

– حدثني، من أنت؟ فليست لديّ أية فكرة عنك... ماذا جئت تصنع هنا؟ فقدم "**بوارو**" بطاقته إلى الشاب. وتناول "**هيجو**" البطاقة ونظر إليها وهتف:

– بوليس سري خاص!! لقد سمعت عنك يا سيد "**بوارو**" .. ولكني أجهل سبب وجودك هنا الآن.

– ألم تكن تعلم أن خالك.. إنه كان خالك.. أليس كذلك؟ فنظر الشاب إلى الجثة من ركن عينه وأجاب:

– بلى.. إنه خالي.

– ألم تكن تعلم أنه أرسل في طلبي؟ فهز "**هيجو**" رأسه وأجاب:

– نعم.. لم أكن أعلم. لاحظ "**بوارو**" أن وجه الشاب جامد لا يكاد يعبر عن شيء.. فقال في هدوء:

– نحن هنا في منطقة "**وستشاير**" .. أليس كذلك؟ إنني أعرف مدير البوليس في هذه المنطقة.. إنه العقيد "**ريدل**". فقال "**هيجو**":

– العقيد "**ريدل**" يقيم على بعد نصف كيلو متر تقريبا من هنا.. ومن المرجح أنه سيأتي بنفسه. فقال "**بوارو**":

– ذلك يكون أفضل. ثم أخذ يطوف بالغرفة، وأزاح الستار وفحص النافذة، ووجدها مقفلة. ورأى خلف المكتب مرآة صغيرة مستديرة مثبتة بالجدار.. ولاحظ أن بها شرخا.. ثم انحنى على الأرض والتقط شيئًا صغيرا فسأله "**هيجو**":

– ما هذا؟

– الرصاصة..

– هل اخترقت رأسه.. وأصابت المرآة؟

– يبدو ذلك. أعاد "**بوارو**" الرصاصة إلى مكانها على الأرض، ثم أخذ يفحص المكتب.. كانت هناك كومة من الأوراق قد وضعت بانتظام في أحد جوانبه. ورأى على المكتب قصاصة ورق عليها كلمة "متأسف" بخط

مضطرب. قال "**هيجو**" :

– لابد أنه كتب هذه الكلمة قبل أن... قبل أن يقدم على الانتحار. فهز "**بوارو**" رأسه ولم يجب، ونظر إلى المرآة، ثم إلى الجثة، وقطب جبينه، وبدت على وجهه دلائل الحيرة.. وبعد لحظة، مشى إلى الباب، وفحص القفل.. لم يكن به مفتاح من الداخل.. لقد لاحظ منذ البداية عدم وجود المفتاح.. لاحظ ذلك حين وضع عينيه على ثقب القفل.. ولم يكن للمفتاح أثر في أرض الغرفة. انحنى "**بوارو**" فوق الجثة، ومر عليها بأصابعه.. ثم غمغم قائلاً:

– نعم.. المفتاح في جيبه. وعندئذ أشعل "**هيجو**" لفافة تبغ، وقال بصوت أجش:

– كل شيء يبدو واضحا تمام الوضوح، لقد أغلق السيد "**جرفيز جور**" الباب على نفسه، ثم كتب هذه الكلمة، وأطلق الرصاص على رأسه. فأطرق "**بوارو**" برأسه مفكرا، واستطرد "**هيجو**" قائلاً:

– ولكنني لا أعلم لماذا أرسل في طلبك؟ هل تعلم أنت؟

– لا.. إن الأمر شديد الغموض.. أصغ إليّ يا سيد "**ترانت**"، هل تستطيع – بينما ننتظر قدوم السلطات المسؤولة – أن تحدثني عن كل هؤلاء الناس الذين رأيتهم عند قدومي؟ فأجاب "**هيجو**"، وهو شارد الفكر:

– هؤلاء الناس الذين رأيتهم؟ أكيد.. أكيد.. هلم بنا نجلس أولا. وأشار إلى مقعد كبير في ركن الغرفة بعيدا عن مكان الجثة وبدأ حديثه قائلا: هناك "**فاندا**"، زوجة السيد "**جرفيز**"، و"**روث**" ابنتها، أنت تعرفهما بالتأكيد، ثم هناك "**سوزان كاردويل**" الفتاة ذات الشعر الأحمر، إنها تقيم هنا، والعميد "**بيري**" العجوز إنه صديق قديم للأسرة، والسيد "**فوريس**"،

العجوز الأصلع، إنه محامي الأسرة، ومن أصدقائها القدامى، وكان هو والعميد في وقت ما من عشاق "**فاندا**"، ثم أصبحا من أصدقائها المخلصين. ثم هناك "**جودفري بوروز**" سكرتير خالي، والآنسة "**لنجارد**" ذات العوينات السوداء، وقد استقدمها السيد "**جرفيز جور**"؛ لكتابة تاريخ الأسرة.. فصمت "**بوارو**" لحظة، ثم قال:

– هل كنت أحد الذين سمعوا الطلق الناري الذي أودى بحياة خالك؟

– نعم. وقد ظننت أول الأمر أنه صوت انطلاق غطاء زجاجة ما.. وسمعته كذلك كل من "**سوزان**" والآنسة "**لنجارد**" وظننا أنه صوت إحدى السيارات التي تمر أمام القصر.

– ومتى سمعتم هذا الصوت؟

– حوالي الساعة الثامنة وعشر دقائق.. عندما دق "**ستيل**" الناقوس؛ ليدعونا إلى المائدة.

– وأين كنتم وقتئذ؟

– كنا في البهو، وكان الصوت الذي سمعناه مثار جدل أضحكنا، فقد قلت إن مصدره قاعة الطعام، وقالت "**سوزان**" إنه صادر من ناحية قاعة الاستقبال، أما الآنسة "**لنجارد**" فقالت إنه صادر من الطابق الأول. وقال "**ستيل**" إن مصدره الطريق العام ولكنه وصل إلينا عن طريق نوافذ الطابق الأول، وبعد ذلك هتفت "**سوزان**" قائلة:

– هل من نظرية أخرى؟ فقلت ضاحكا:

– إنه يوجد دائما احتمال وقوع جريمة قتل.. وكم يزعجني الآن أنني قلت هذه العبارة. وتقلصت عضلات وجهه. وسأله "**بوارو**":

– ألم يخطر ببال أحدكم أن السيد "**جرفيز جور**" ربما قد أطلق الرصاص

على نفسه؟

– نعم.. بالتأكيد.. لم يخطر ذلك ببال أي منا. أليست لديك أية فكرة عن الأسباب التي حملته على الانتحار؟ فأجاب الشاب ببطء:

– نعم، لا أستطيع أن أقول إنه ليست لديّ أية فكرة...

– إذن أنت تعرف السبب؟

– ليس من السهل إيضاح السبب، وطبيعي أنني لم أكن أتوقع انتحاره، ولكن الحادث لا يدهشني كثيرا.. والواقع أن خالي كان رجلا غريب الأطوار، والجميع يعلمون ذلك.

– هل تعتقد أن غرابة أطواره هي إيضاح كاف لفعلته؟

– إن أي إنسان مصاب بخلل في قواه العقلية يمكن أن يطلق الرصاص على نفسه في أية لحظة، ودون أن تكون هناك مقدمات أو مبررات.

– الحق أن هذا تفسير متناهٍ في السهولة. فنظر إليه "**هيجو**" في دهشة، ولم يفهم ما يعني، ونهض "**بوارو**" واقفا وراح يمشي في الغرفة على غير هدى. كان أثاثها ثمينا ومن الطراز الضخم الذي ينسب إلى عهد الملكة "**فكتوريا**"؛ فخزائن الكتب تنهض من الأرض حتى السقف، والمقاعد ذات مساند رأسية، وكانت هناك طائفة من التحف الثمينة، لفت نظر "**بوارو**" منها عدد من التحف البرنزية كانت تزين الموقد، فتناولها قطعة بعد أخرى. وفحصها بمزيج من الاهتمام والإعجاب، ثم أعادها جميعا إلى أماكنها بعناية شديدة، بعد أن فصل بظفره شيئًا من إحداها فسأله "**هيجو**" بعدم اكتراث:

– ما هذا؟

– شيء تافه لا أهمية له.. قطعة فضية مما يعلق بظاهر المرايا. فقال "**هيجو**":

– من عجب أن تحطم الرصاصة المرآة المثبتة بالجدار، يقال إن المرآة المحطمة تجلب النحس.. مسكين السيد "**جرفيز جور**"!! أعتقد أن حسن الطالع لازمه أطول مما يجب.

– هل كان خالك رجلا حسن الحظ؟ فضحك "**هيجو**" ضحكة قصيرة فيها شيء من السخرية وأجاب:

– لقد كان حسن حظه مضرب الأمثال.. كان إذا مس شيئًا تحول إلى ذهب، وإذا راهن على جواد خامل ظهر الجواد في المقدمة وكسب الشوط، وإذا استثمر أمواله في منجم مشكوك في أمره ظهرت فيه على الفور آثار الفحم أو الحديد أو الذهب. يضاف إلى ذلك أنه نجا مرارا من مآزق شديدة الحرج كان ينجو منها بما يشبه المعجزة، على أنه كان رجلا ممتازا، ولم يتهيأ لأحد من أهل جيله أن يرى من الدنيا قدر ما رأى، ولا أن ينعم بمثل ما نعم به. فسأله "**بوارو**" بعدم اكتراث:

– هل كنت تحب خالك يا سيد "**ترانت**"؟ فدهش الشاب لهذا السؤال وأجاب:

– آه! نعم.. أظن أنني كنت أحبه. كان صلب الرأي، حاد الطباع في بعض الأحيان، ومخيفا في أحيان أخرى.. ولكن من حسن الحظ أنني لم أكن أقابله كثيرا.. ولم يحدث بيننا ما يدعو إلى التصادم.

– وهل كان يحبك؟

– ليس بطريقة واضحة.. الواقع أنه لم يكن مرتاحا لوجودي..

– ماذا تعني؟

– أنت تعلم أنه لم يرزق ولدا يرث اسمه وثروته من بعده، وقد كان ذلك يمضه ويشعره بالمرارة. ولعلك تعلم كذلك أنه كان شديد الحرص على اسم

الأسرة، وضرورة استمراره، وأعتقد أنه كان يحز في نفسه أن يندثر اسم الأسرة بوفاته. . . لقد كان هو آخر من حمله، وطبيعي أنه كان يشعر بالضيق من جراء ذلك.

– وأنت، ما شعورك في هذا الصدد؟ فهز الشاب كتفيه وأجاب:

– أنا شخصيا أعتقد أن هذه كلها أمور قد عفا عليها الزمن، وأن بقاء الاسم لا يستحق كل هذا الحرص وهذا الاهتمام.

– وماذا سيكون مصير ممتلكاته الواسعة؟

– الحقيقة أنني لا أعلم. . إنها قد تؤول إليّ، وقد يكون أوصى بها لابنته "**روث**" ، بل من المحتمل جداً أن يكون قد تركها لزوجته "**فاندا**" طالما بقيت على قيد الحياة.

– ألم يصرح خالك بشيء عن نياته؟

– أظن أن فكرة معينة كانت لديه.

– ما هي؟

– كانت فكرته أن أقترن بـ"**روث**" ، فتؤول ثروته وممتلكاته إلينا معا.

– لا شك أنها فكرة وجيهة.

– هذا صحيح. . ولكن السيد "**جرفيز جور**" أغفل فيها وجهة نظر "**روث**" . إن "**روث**" فتاة قوية الإرادة، ولها شخصيتها كما أن لها رأيها الخاص في حياتها ومستقبلها. . إنها على جانب عظيم من الجمال، وهي تعلم ذلك جيدا، ولا تريد أن تتعجل مسألة الزواج. فانحنى "**بوارو**" إلى الأمام وسأله وهو يحدجه بنظرة فاحصة:

– ولكنك توافق على فكرة خالك، وترحب بها. . أليس كذلك يا سيد "**ترانت**"؟ فهز الشاب كتفه بعدم اكتراث وأجاب:

– الحق أن اختيار الطرف الآخر في مسألة الزواج لم يعد ذا أهمية في هذه الأيام؛ فالطلاق أصبح سهلا ميسورا، وإذا لم يجد الإنسان السعادة في زواجه فليس عليه إلا أن يفصم العلاقة الزوجية، ويبدأ حياة عائلية جديدة. فُتح الباب في هذه اللحظة ، ودخل "**فوريس**" ومعه رجل طويل القامة تبدو عليه دلائل النشاط والذكاء. التقت عينا هذا الرجل بعيني "**هيجو**" وهتف:

– إنني لشديد الأسف لما حدث يا سيد "**هيجو**".. لابد أنها كانت صدمة لكم جميعا. تقدم "**بوارو**" من المتحدث وقال له محييا:

– طاب يومك يا عقيد "**ريدل**".. هل تذكرني؟ فأجاب ضابط البوليس وهو يشد على يده:

– بالتأكيد.. بالتأكيد.. ولكن ماذا جاء بك إلى هنا؟ وارتسمت في عينيه نظرة دهشة وفضول.. ولكن "**بوارو**" تجاهل سؤاله ولم يجبه. وبعد نحو عشرين دقيقة، كان طبيب البوليس قد فرغ من فحص الإصابة فسأله العقيد "**ريدل**":

– حسنا ما رأيك؟ كان الطبيب رجلا أشيب الشعر، متقدما في السن، فهز كتفيه وأجاب:

– إنه توفي منذ أكثر من نصف ساعة، وأقل من ساعة ولا أحسبك بحاجة إلى معرفة النتيجة بالتعبيرات الفنية، ولذلك سأوفر عليك الإطالة والإيضاح، وبحسبك أن تعلم أن السيد "**جرفيز جور**" توفي متأثرا بإصابته برصاصة في الرأس، أطلقت من مسافة قصيرة جداً، لا تتجاوز بضع بوصات، وقد اخترقت الرصاصة الجمجمة من اليمين ونفذت من اليسار.

– وهل يتفق ذلك تماما مع نظرية الانتحار؟

– أعتقد ذلك، وقد انهار الجسد على المقعد عقب الإصابة، وسقط

المسدس على الأرض.

– هل الرصاصة معك؟

– نعم. ومد الطبيب يده بالرصاصة. قال العقيد "**ريدل**" :

– يجب أن نحتفظ بالرصاصة؛ للتحقق من أنها أطلقت من نفس المسدس.. الحق أنني أشعر بارتياح شديد لوضوح الحادث، وعدم وجود أي تعقيد أو صعوبة. فالتفت "**بوارو**" إلى الطبيب وسأله في لطف:

– هل أنت واثق بأنه لا يوجد أي تعقيد؟ فأجاب الطبيب في بطء:

– أعتقد أن هناك نقطة واحدة جديرة بالتأمل.. لابد أنه كان متكئا إلى يمين المقعد، وإلا لكانت الرصاصة نفذت من الجهة اليسرى وأصابت الجدار تحت المرآة، لا في وسطها. فقال "**بوارو**" :

– إنه وضع غير مريح بالنسبة إلى شخص يعتزم الانتحار بإطلاق الرصاص على رأسه من الجانب الأيمن.. أليس كذلك؟ فهز الطبيب كتفه وأجاب:

– وهل يهم الشخص كثيرا أن يجلس جلسة مريحة إذا كان في نيته أن ينهي.. ولم يتم عبارته.. قال العقيد "**ريدل**" :

– هل نستطيع الآن أن ننقل الجثة؟

– نعم.. نعم.. لقد فرغت من فحصها. فالتفت العقيد "**ريدل**" إلى رجل طويل القامة يرتدي الثياب المدنية وسأله:

– وما قولك أنت يا سيدي المفتش؟ فأجاب مفتش البوليس:

– أظن أننا نستطيع أن نعتبر القضية منتهية.. بقي فقط الحصول على بصمات أصابع "**جرفيز جور**" على مقبض المسدس.

– أجرِ اللازم إذن. نقلت الجثة من الغرفة، ولم يبق بالمكان سوى العقيد "**ريدل**" و"**بوارو**". قال "**ريدل**" :

– كل شيء يبدو واضحا غاية الوضوح، فباب الغرفة مغلق، والمفتاح في جيب المنتحر، والنافذة مغلقة.. شيء واحد يثير حيرتي. فسأله "**بوارو**" :

– وما هو يا صديقي؟ فأجاب "**ريدل**" في شيء من الغلظة:

– أنت!! ماذا جاء بك أنت إلى هنا؟ فلم يجبه "**بوارو**" ، وإنما أخرج من جيبه الرسالة التي تسلمها من السيد "**جرفيز جور**" منذ أسبوع، و البرقية التي وردت إليه بعد ذلك، وقدمهما إلى "**ريدل**" :

قرأ "**ريدل**" الرسالة والبرقية وغمغم:

– هذا أمر طريف.. لابد أن لهذه الدعوة الغامضة صلة مباشرة بانتحاره.. فقال "**بوارو**" :

– إنني أوافقك على هذا الاستدلال.

– يجب أن نستطلع أمر كل من بالبيت.

– أستطيع أن أذكر لك أسماءهم جميعا، لقد استفسرت عنهم من السيد "**ترانت**" . وذكر أسماء الموجودين، واستطرد قائلاً:

– ولابد أنك تعرف شيئًا عنهم يا عقيد "**ريدل**" . فأجاب "**ريدل**" :

– إنني أعرف بعضهم بطبيعة الحال؛ فالسيدة "**جور**" امرأة غريبة الأطوار كزوجها.. وكان كل منهما يحب الآخر ويخلص له.. والاثنان معتوهان كما قلت. وأبرز ما في السيدة "**جور**" أنها امرأة غامضة قلما تركز تفكيرها أو نظرتها على شيء، ولكنها ذكية إلى أبعد حدود الذكاء.. إن الناس يسخرون منها، وأعتقد أنها تعلم ذلك، ولكنها لا تأبه بهم.

– والآنسة "**روث**" ؟ قيل لي إنها ابنتها بالتبني فقط.. فهل هذا صحيح؟

– نعم..

– إنها على قسط وافر من الجمال.

– نعم، وقد لعبت بألباب كثيرين من شباب هذه المنطقة.. وسخرت بجميع عشاقها.. ثم إنها تجيد ركوب الخيل و.. فقاطعه "**بوارو**" قائلاً:

– ذلك لا يهمنا كثيرا في الوقت الحاضر.

– أما الآخرون.. فهناك "**بيري**" العجوز.. إنه يكاد يكون أحد أفراد الأسرة؛ فهو يقضي جل وقته هنا، والسيدة "**جور**" تعده مستشارها.. إنه صديق قديم للأسرة، وأعتقد أنه كان لـ"**بيري**" والسيد "**جرفيز جور**" مصالح مالية في شركة يضطلع "**بيري**" بإدارتها.

– والمدعو "**إزوالد فوريس**"، هل تعرف شيئا عنه؟

–أظن أنني لم أقابله سوى مرة واحدة.

– والآنسة "**لنجارد**"؟

– لم أسمع عنها قط.

– والآنسة "**سوزان كاردويل**"؟

– فتاة جميلة لها شعر أحمر يلفت النظر. وقد رأيتها مع "**روث**" مرارا خلال الأيام القلائل الأخيرة.

– والسيد "**بوروز**"؟

– إنني أعرفه بالتأكيد، فهو سكرتير "**جرفيز جور**" ولكن يُخيّل إليّ – بيني وبينك – أنه شاب تافه.. صحيح أنه وسيم ومغرور، ولكنه من أسرة متواضعة.

– هل اتخذه السيد "**جرفيز جور**" سكرتيرا له منذ وقت طويل؟

– منذ عامين فيما أعتقد.

– ألا يوجد أحد... ولم يتم "**بوارو**" عبارته، فقد دخل عليهما في تلك اللحظة شاب متوسط القامة، أشقر الشعر، كان يلهث كمن قطع شوطا طويلا

وهو يعدو. صاح الشاب، وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة:

– طاب مساؤك يا عقيد "**ريدل**".. بلغني أن السيد "**جرفيز جور**" أطلق الرصاص على نفسه، وقد أكد لي "**ستيل**" ذلك ولكنني لا أكاد أصدق أذني.. هذا غير معقول.

– بل يجب أن تصدقه يا سيد "**ليك**".. ودعني أقدمك.. الكابتن "**ليك**" وكيل أعمال السيد "**جرفيز جور**".. السيد "**هركيول بوارو**". البوليس السري المعروف لابد أنك سمعت عنه. فنظر "**ليك**" إلى "**بوارو**" وأشرق وجهه:

– السيد "**هركيول بوارو**".. يسرني أن أقابلك يا سيدي العزيز.. سنستطيع على الأقل أن.. ولم يتم عبارته، وتلاشت الابتسامة الساحرة التي تألقت لحظة على شفتيه.. وبدت على وجهه دلائل الاضطراب والانزعاج.. قال:

– هل هناك أية ريبة في أمر الانتحار؟

فسأله "**ريدل**" بحدة:

– وماذا يحملك على هذا الظن؟!

– وجود السيد "**بوارو**".. ثم إن الأمر كله عجيب ولا يمكن تصديقه. قال "**بوارو**" في هدوء:

– كلا.. كلا.. لا صلة لوجودي هنا بوفاة السيد "**جرفيز جور**".. لقد كنت مدعوا لتناول العشاء.. هذا كل ما هنالك. فقال الكابتن "**ليك**":

– من عجب أنه لم يحدثني عنك حينما راجعت الحساب معه بعد ظهر اليوم. فقال "**بوارو**":

– أرى أنك أسرفت في استخدام كلمتي "عجيب" و "لا يمكن

تصديقه" . . فهل يدهشك كثيرا إقدام السيد "**جرفيز جور**" على الانتحار؟

– بالتأكيد . . صحيح أنه كان غريب الأطوار . . جميع الناس يعلمون عنه ذلك، ولكنه كان يعتقد أن الدنيا كلها ستتوقف بدونه . . إن غرابة الأطوار ليست مبررا للانتحار. فغمغم "**بوارو**" قائلاً:

– هذا صحيح . . ونظر بإعجاب إلى الشاب الذي ينم وجهه عن الصراحة والذكاء. سعل العقيد "**ريدل**" سعلة خفيفة وقال:

– ما دمت قد جئت يا سيد "**ليك**"، فهل لديك مانع من الإجابة عن بعض الأسئلة؟

– لا بالتأكيد. تناول الشاب مقعدا وجلس أمامهما. وسأله "**ريدل**":

– متى رأيت السيد "**جرفيز جور**" آخر مرة؟

– بعد ظهر اليوم، قبيل الساعة الثالثة . . كانت هناك بعض حسابات تتطلب الفحص، ومسألة يجب البت فيها خاصة بمستأجر جديد لإحدى المزارع.

– كم بقيت معه؟

– حوالي نصف ساعة.

– فكر جيدا وأنبئني، هل لاحظت في سلوكه وتصرفاته شيئًا غير عادي؟ ففكر الشاب قليلاً ثم أجاب:

– لا أظن ذلك . . كان منفعلا قليلا، ولكن ذلك لم يكن أمرًا غير عادي بالنسبة إليه.

– ألم يكن مكتئبا أو مهموما؟

– نعم . . لم يكن كذلك بل كان في حالة نفسية حسنة . . . وكان راضيا عن نفسه، ويشعر بارتياح شديد؛ لأنه بدأ يكتب تاريخ أسرته.

– متى شرع في هذا العمل؟

– منذ ستة أشهر تقريبا.

– هذا هو التاريخ الذي قدمت فيه الآنسة "**لنجارد**"؟

– كلا، إنها قدمت منذ شهرين، عندما أحس بعجزه عن مواصلة البحث والتنقيب، وترتيب الوثائق والمستندات.

– هل أنت واثق بأن هذا العمل كان مبعث ارتياح وسرور له؟

– نعم، في الواقع أنه لم يكن يهمه شيء في العالم مثل أسرته. وكان صوت الشاب حين نطق بهذه العبارة لا يخلو من مرارة. قال "**ريدل**":

– ألم يكن هناك ما يضايق السيد "**جرفيز**" أو يقلقه؟

فتردد الكابتن "**ليك**" لحظة قصيرة جداً قبل أن يجيب بقوله:

– نعم.. لم يكن هناك ما يضايقه أو يقلقه. وهنا ألقى "**بوارو**" السؤال التالي:

– ألم يكن هناك ما يشغل بال السيد "**جرفيز جور**" بشأن ابنته؟

– بشأن ابنته؟

– نعم. فأجاب الشاب باقتضاب:

– لا أعلم أنه كان هناك ما يشغل باله بشأنها.

فصمت "**بوارو**"، وقال "**ريدل**":

– شكرا لك يا كابتن "**ليك**".. لعلك تستطيع البقاء على مقربة منا للاستعانة بك فيما لو طرأ جديد للإجابة عما قد نود الاستفسار عنه. فأجاب الشاب وهو ينهض:

– سأكون رهن إشارتك يا عقيد "**ريدل**"، هل أستطيع أن أفعل شيئا الآن؟

– نعم، أرجو أن ترسل إلي كبير الخدم، وأن تستفسر عن السيدة "**جور**"

بالنيابة عني. ثم أنبئني عما إذا كانت حالتها تسمح باستجوابها. فأطرق الشاب برأسه، وغادر الغرفة بخطى سريعة ثابتة. وهنا التفت "**بوارو**" إلى "**ريدل**" وغمغم قائلاً:

– إنه شخصية جذابة.

– نعم.. وهو كفء في عمله، والجميع يحبونه.

- 4 -

مزيد من الغموض

قال العقيد "**ريدل**" في رفق:

– اجلس يا "**ستيل**"، فهناك أسئلة كثيرة أود أن ألقيها عليك.. أعتقد أن هذا الحادث كان صدمة لك. فأجاب كبير الخدم وهو يجلس في هدوء وأدب:

– نعم يا سيدي.. كان صدمة شديدة لي.

– هل التحقت بخدمة السيد "**جرفيز جور**" منذ وقت طويل؟

– منذ ستة عشر عامًا يا سيدي.. أي منذ قرر السيد "**جرفيز**" الاستقرار في هذا القصر.

– آه! نعم.. إن سيدك كان كثير الأسفار في شبابه أليس كذلك؟

– بلى يا سيدي. إنه قام برحلة إلى القطب الشمالي، وزار كثيرا من المناطق.

– حدثني يا "**ستيل**" هل تذكر متى رأيت سيدك آخر مرة هذا المساء؟ فتنهد كبير الخدم وأجاب:

– إنني قضيت وقتي بعد ظهر اليوم في قاعة الطعام؛ للإشراف على إعداد

المائدة، وكان باب الصالة مفتوحا، فرأيت السيد "**جرفيز جور**" يهبط السلم، ويجتاز الصالة إلى الدهليز المؤدي إلى غرفة مكتبه.

– ومتى كان ذلك؟

– قبيل الساعة الثامنة.. وبالتحديد قبل الساعة الثامنة بنحو خمس دقائق.

– وهل كانت هذه آخر مرة رأيته فيها؟

– نعم يا سيدي.

– هل سمعت صوت الطلق الناري؟

– نعم يا سيدي.. ولكن لم يخطر لي ببال في ذلك الوقت أن.. كيف كان يمكن أن أتصور ذلك؟

– ماذا خطر لك إذن؟

– ظننت أنه صوت سيارة.. فالطريق الرئيسي يمر بالقرب من سور الحديقة، أو لعله كان صوت رصاصة أطلقت في الغابة.. حيث يتردد بعض لصوص الصيد. ولكن لم يخطر لي قط أنه.. فقاطعه العقيد "**ريدل**" بقوله:

– ومتى سمعت هذا الصوت؟

– في الساعة الثامنة وثماني دقائق بالضبط. فرفع "**ريدل**" رأسه بحدة وسأل:

– كيف استطعت تحديد الوقت بهذه الدقة؟

– لقد قرعت الناقوس الأول في تلك اللحظة بالذات.

– الناقوس الأول؟

– نعم.. تلك كانت أوامر السيد "**جرفيز جور**".. أن يدق الناقوس الأول قبل موعد تناول الطعام بسبع دقائق؛ حتى يجتمع المدعوون في قاعة الاستقبال، وينتقلوا منها إلى قاعة الطعام حالما يدق الناقوس الثاني.. وقد

حدث الليلة كالمعتاد.. إنني قرعت الناقوس الثاني، ثم قصدت إلى قاعة الاستقبال على الفور؛ لأعلن أن المائدة قد أعدت. فقال "**بوارو**":

– فهمت الآن لماذا كانت تبدو عليك دلائل الدهشة حين أعلنت إعداد المائدة هذا المساء.. لابد أنه كان من المعتاد أن يوجد السيد "**جرفيز جور**" مع المدعوين في قاعة الاستقبال عندما تدق الناقوس الثاني. فأجاب "**ستيل**":

– لم يحدث قط قبل اليوم أنه تخلف.. لقد ذهلت حين لم أجده في قاعة الاستقبال، ولم يخطر لي قط.... فقاطعه العقيد "**ريدل**" مرة أخرى:

– وهل جرت العادة أن يكون جميع المدعوين في قاعة الاستقبال عندما تدق الناقوس الثاني؟ فسعل "**ستيل**" وأجاب:

– إن أي شخص يتخلف لا يدعى إلى البيت مرة أخرى بعد ذلك. فابتسم "**ريدل**" وغمغم:

– يا لها من عقوبة رادعة!!

– إن الطاهي الذي يستخدمه السيد "**جرفيز جور**" كان في وقت ما طاهيا لإمبراطور "**مورافيا**"، وقد كان يقول دائما إن موعد تناول العشاء لا يقل أهمية عن موعد الصلاة.

– وأفراد الأسرة.. هل كانوا يحترمون موعد العشاء؟

– السيدة "**جور**" والآنسة "**روث**" كانتا حريصتين جداً على عدم إغضابه.. ولم يحدث قط أن تخلفت إحداهما عن موعد الطعام. فغمغم "**بوارو**":

– هذا طريف حقًّا. وقال "**ريدل**":

– إذن فالموعد المحدد لتناول العشاء هو الساعة الثامنة والربع، وقد قرعت الناقوس الأول في الساعة الثامنة وثماني دقائق كالعادة؟

– نعم يا سيدي... ولكن لم تكن هذه هي العادة؛ فموعد العشاء هو الساعة الثامنة، ولكن السيد "**جرفيز جور**" أمر بتأخيره ربع ساعة الليلة؛ لأنه كان ينتظر قدوم أحد السادة المدعوين بآخر قطار. نظر كبير الخدم إلى "**بوارو**" وأحنى قامته باحترام. قال "**ريدل**":

– عندما رأيت سيدك في طريقه إلى قاعة المكتب، هل كان يبدو عليه شيء من دلائل القلق أو الانفعال؟

– لا أستطيع أن أقطع في ذلك برأي يا سيدي؛ فقد كانت المسافة بيني وبينه كبيرة، ولا تسمح لي بأن أتبين ملامحه وقسمات وجهه.. كل ما هنالك أني رأيته يسير في الطريق إلى غرفة المكتب.

– هل كان وحده؟

– نعم يا سيدي.

– هل ذهب أحد إلى غرفة المكتب بعد ذلك؟

– لا أعلم يا سيدي؛ فقد ذهبت إلى غرفتي بعد ذلك، وبقيت فيها حتى حان موعد الناقوس الأول في الساعة الثامنة وثماني دقائق.

– وفي هذا الوقت سمعت دوي الطلق الناري؟

– نعم يا سيدي.

وهنا ألقى "**بوارو**" السؤال التالي:

– أظن أنه كان هناك من سمع صوت الرصاص سواك؟

– نعم يا سيدي.. كان هناك السيد "**هيجو**"، والآنسة "**كاردويل**"، والآنسة "**لنجارد**".

– هل كانوا جميعا في الصالة؟

– كانت الآنسة "**لنجارد**" قادمة من قاعة الاستقبال، وكانت الآنسة

"**كاردويل**" والسيد "**هيجو**" يهبطان درج السلم. فسأله "**بوارو**" :

– هل دار بينكم حديث في هذا الموضوع؟

– نعم يا سيدي؛ فقد سأل السيد "**هيجو**" عما إذا كنا سنقدم شرابا في العشاء، فأجبته بأننا سنقدم بعض المشروبات.

– هل كان يظن أن الصوت الذي سمعه هو صوت انطلاق غطاء زجاجة ما؟

– نعم يا سيدي.

– ألم يظن أحد أن للصوت الذي سمعتموه أية دلالة خطيرة؟

– نعم يا سيدي، لم يظن أحد ذلك وقد دخل الجميع قاعة الاستقبال وهم يتحدثون ويضحكون.

– وأين كان سائر خدم البيت في ذلك الوقت؟

– لا أعلم يا سيدي. فقال "**ريدل**" وهو يبسط يده بالمسدس:

– هل تعرف شيئًا عن هذا المسدس؟

– نعم يا سيدي.. إنه مسدس "**جرفيز جور**"، وكان يحتفظ به دائما في درج مكتبه.

– هل كان يحتفظ به محشوا دائما؟

– لا أعلم يا سيدي. فأطرق "**ريدل**" برأسه، وأخذ يمشي في الغرفة جيئة وذهابا.. ثم وقف فجأة أمام "**ستيل**" وقال:

– سألقي عليك الآن سؤالا له أهميته يا "**ستيل**"، وأرجو أن تجيبني عنه في صراحة إذا استطعت.. هل تعرف سببا أو أسبابا تحمل سيدك على الانتحار؟

– لا يا سيدي.. لا أعرف.

– ألم يطرأ على حالة السيد "**جرفيز جور**" أي تطور فجائي في المدة الأخيرة؟ ألم يكن حزينا، أو مهموما، أو مضطربا؟ فسعل "**ستيل**" سعلة خفيفة وأجاب:

– معذرة يا سيدي.. ولكن السيد "**جرفيز جور**" كان يبدو دائما في نظر الآخرين رجلا غريب الأطوار، شاذ الطباع..

– أعلم ذلك.

فقال "**ستيل**":

– ولكني واثق بأن الذين لم يعاشروه لم يعرفوه على حقيقته..

– ربما كنت على حق.. ولكن ألم يطرأ عليه أي تغيير في المدة الأخيرة؟ فتردد "**ستيل**" قليلا، ثم أجاب:

– أعتقد يا سيدي أنه كان قلقا لأمر ما.

– قلقا أم مضطربًا؟

– لا أعتقد أنه كان مضطربا يا سيدي.. إنه كان قلقا.

– هل لديك أية فكرة عن أسباب قلقه؟

– لا يا سيدي.

– هل كان قلقا بشأن أحد الناس مثلا؟

– لا أعلم يا سيدي.. إن ما ذكرته لك هو مجرد إحساس أو ملاحظة.. وهنا تكلم "**بوارو**" مرة أخرى وقال:

– هل أدهشك انتحار السيد "**جرفيز جور**"؟

– أدهشني جدًا يا سيدي.. إنه كان صدمة شديدة لي، ولم يخطر لي ببال قط أن أمرا كهذا يمكن أن يحدث. فعض "**بوارو**" شفته وأطرق مفكرا.. ونظر "**ريدل**" إلى "**بوارو**" من ركن عينه، ثم قال محدثا "**ستيل**":

– شكرا لك يا "**ستيل**"، هذا كل ما أردت معرفته.. هل أنت واثق تماما بأنك قد ذكرت كل ما تعرفه، وأنه لم يحدث في المدة الأخيرة أي حادث غير عادي يمكن أن يلقي مزيدا من الضوء على أسباب انتحار السيد "**جرفيز جور**"؟ فنهض كبير الخدم واقفا وقال وهو يهز رأسه:

– لا يا سيدي.. لم يحدث شيء.. لم يحدث شيء على الإطلاق.

– حسنا، في استطاعتك الآن أن تنصرف.

– شكرا لك يا سيدي.

وما إن خطا "**ستيل**" خطوتين حتى فتح الباب ودخلت السيدة "**جور**" وهي تتهادى في غلالة شرقية من الحرير البرتقالي اللون.. وقد بدت في هذه الغلالة التي التصقت بجسدها أطول قامة مما هي حقيقة.. كانت قسمات وجهها تنم عن الهدوء والسكينة فهتف العقيد "**ريدل**" وهو يثب واقفًا:

– السيدة "**جرفيز جور**"! فقالت السيدة:

– قيل لي إنك تريد التحدث إليَّ ولذلك جئت.

– هل ننتقل إلى غرفة أخرى؟ لا شك أن ما حدث في هذه الغرفة كان صدمة شديدة لك. فهزت السيدة رأسها وجلست على أحد المقاعد، وغمغمت قائلة:

– كلا.. كلا.. وماذا يهم الآن؟

– جميل منك يا سيدة "**جور**" أن تطرحي مشاعرك الخاصة وأحزانك جانبا.. أنا أعلم أن الصدمة مخيفة وأنه كان يجب.. فقاطعته قائلة في هدوء وبصوت رزين واضح:

– صحيح أنها كانت صدمة قاسية في البداية.. ولكني أعلم أنه – في الواقع – لا يوجد شيء اسمه الموت.. إنما يوجد تحول وتقمص. ثم استطردت

قائلة :

– الواقع أن " **جرفيز** " واقف الآن وراءك، وأنا أراه. فنظر العقيد "**ريدل**" وراءه بحركة لا إرادية، ثم حملق إلى وجه السيدة "**جور**" . وابتسمت له السيدة ابتسامة غامضة تنم عن السعادة، وقالت :

– أنت لا تصدقني بالتأكيد، إن الكثيرين لا يصدقونني، ولكني أعلم أن عالم الروح هو عالم حقيقي كعالمنا هذا تماما.. وصمتت قليلا، ثم استطردت :

– أرجو أن تلقي عليَّ ما شئت من الأسئلة، ولا تظن أنني سأتألم وأنزعج.. إنني لست منزعجة، وكل هذا الذي حدث هو من فعل القدر.. وليس في مقدور أحد أن يفلت مما قدر له.. كل شيء حدث كما أراد القدر له أن يحدث.. حتى هذا الشرخ الذي أصاب المرآة.. فسألها "**بوارو**" في دهشة :

– الشرخ الذي أصاب المرآة! ماذا تعنين يا سيدتي؟ فاستطردت السيدة وهي تومئ برأسها نحو المرآة :

– لقد تهشمت المرآة كما ترى، إنها مجرد رمز، هل تعرف قصيدة الشاعر "**تنيسون**" ، إنني كنت أحفظها عن ظهر قلب وأنا صغيرة ، ولكني لم أعلم قط أنها ستلعب دورا في حياتي.. إليك ما قال "**تنيسون**" : « شرخت المرآة من جانب إلى جانب، لقد حلت عليّ اللعنة ».. وذلك تماما ما حدث لـ" **جرفيز** " ، لقد حلت عليه اللعنة فجأة.. إن لكل أسرة من الأسر القديمة لعنة معينة تنزل بأفرادها واحداً بعد الآخر حتى تندثر تماما.. شرخت المرآة، وأدرك "**جرفيز**" أنه مقضي عليه.. لقد حلت اللعنة! فقال "**ريدل**" :

– ولكن اللعنة لم تشرخ المرآة يا سيدتي.. إنما شرختها رصاصة. فقالت السيدة "**جور**" بنفس اللهجة الغامضة :

– سيان.. إنها يد القدر.

– ولكن زوجك هو الذي أطلق الرصاص على نفسه. أجابت السيدة وهي تبتسم:

– ما كان ينبغي أن يفعل ذلك، ولكنه كان مطبوعا على العجلة، ولا يحب الانتظار. وقد دقت ساعته، فمشى إلى قدره.. إن الأمر في منتهى البساطة كما ترى. فسعل العقيد "**ريدل**"؛ ليخفي ضيقه وضجره، وقال بحدة:

– إذن لم يدهشك انتحار زوجك؟ هل كنت تتوقعين حدوث ما حدث؟ فحملقت بعينيها فجأة وهتفت:

– لا.. لا.. فالإنسان لا يستطيع دائما أن يتنبأ بالمستقبل، والواقع أن "**جرفيز**" كان رجلا غريبا.. كان رجلا غير عادي.. كان يختلف عن كل إنسان آخر.. إنه كان من أولئك العظماء الذين يبعثون بعد موتهم في صورة أخرى.. لقد كنت أعلم ذلك منذ وقت طويل، وأعتقد أنه هو نفسه كان يعلم ذلك، وكان يجد مشقة في مجاراة الناس العاديين في أعمالهم وطباعهم وتقاليدهم.. ثم نظرت من فوق كتف العقيد "**ريدل**" واستطردت وهي تبتسم:

– ها هو ذا يبتسم، لا شك أنه يسخر من حماقتنا وسخفنا، نحن سخفاء حقًّا. إننا نزعم أن الحياة في هذه الدنيا هي كل شيء.. ولكنها في الواقع ليست كذلك.. إنها مجرد أوهام ضخمة. وأحس العقيد "**ريدل**" بأنه يخوض مع هذه المرأة الغريبة الأطوار معركة خاسرة، فقال في يأس:

– ألا تستطيعين معاونتنا بشيء يميط اللثام عن الأسباب التي حملت زوجك على الانتحار؟ فهزت كتفيها وأجابت:

– هناك قوى لا سلطان لنا عليها، تحركنا، وتسوقنا إلى مصائرنا.. ولكنك لن تفهم هذه الأمور؛ لأنك تعيش في الحياة المادية.. فسعل "**بوارو**" وسأل:

– بمناسبة الحديث عن الحياة المادية يا سيدتي.. هل لديك فكرة عن الطريقة التي وزع بها زوجك ثروته؟ فحملقت السيدة إلى وجهه وهتفت:

– ثروته؟! إنني لا أفكر أبداً في المال. قالت ذلك بلهجة تنم عن الازدراء، وتحوَّل "**بوارو**" إلى موضوع آخر، قال:

– كم كانت الساعة عندما هبطت من الطابق الأول إلى قاعة الطعام؟

– الساعة؟! أية ساعة؟ إن الزمن غير محدد كما تعلم. ذلك هو جوابي.. فغمغم "**بوارو**" قائلا:

– ولكن زوجك كان حريصا على موعد العشاء يا سيدتي، أو هكذا قيل لي. فابتسمت السيدة وأجابت:

– مسكين "**جرفيز**" العزيز.. إنه كان شديد الحماقة فيما يتصل بالمواعيد والتقاليد.. ولكن المحافظة على المواعيد كانت تسعده، لذلك لم يتخلف قط.

– هل كنت في قاعة الاستقبال عندما دق الناقوس الأول يا سيدتي؟

– لا.. كنت وقتئذ في غرفتي الخاصة.

– هل تذكرين من كان في قاعة الاستقبال عندما دخلتها؟ فأجابت بلهجة غامضة:

– كانوا جميعا هناك فيما أعتقد. ولكن هل لذلك أهمية؟ فقال "**بوارو**":

– قد لا تكون لذلك أهمية.. دعينا من هذا.. توجد مسألة أخرى، هل قال لك زوجك يوما إنه يرتاب في أن يكون هناك من يختلس أمواله؟ لم يبد

عليها الاهتمام وأجابت:

- يختلس أمواله؟ لا أظن ذلك.

- أعني يختلس أمواله، أو يسرقه، أو يحتال عليه، أو يبتز ماله بطريقة ما؟

- كلا.. كلا.. لا أظن ذلك، ولو تجرأ أحد على أن يفعل به شيئًا كهذا لغضب غضبا شديدا.

- هل أنت واثقة بأنه لم يذكر شيئًا بهذا المعنى؟ فهزت رأسها، وقالت بتلك اللهجة العجيبة التي تدل على عدم المبالاة:

- لا.. لا.. لو قال لي شيئًا بهذا المعنى لتذكرته.

- متى رأيت زوجك حيا آخر مرة؟

- إنه أطل من باب غرفتي كالعادة قبل أن يهبط درج السلم إلى قاعة الطعام.. وكانت وصيفتي معي..

- ألم يقل لك شيئًا؟

- قال فقط إنه في طريقه إلى قاعة الطعام

- ماذا كان أهم موضوع تناوله في أحاديثه خلال الأسابيع القليلة الأخيرة؟

- كان يتحدث عن تاريخ الأسرة، قال إنه قطع في كتابته شوطا كبيرا.. وقال عن الآنسة "**لنجارد**" - تلك العجوز المضحكة - إنها تفيده كثيرًا في عمله. ولا يستطيع الاستغناء عنها.. وكان مما قاله إنها تجمع له المعلومات والبيانات التي يريدها من المتحف البريطاني، وإنها ساعدت الأمير "**مالكاستر**" في كتابه الذي صدر أخيرًا.. وكان يطري صفاتها، ويقول إنها على جانب عظيم من اللباقة فهي تتجاهل أسلافه الذين لا يشرف الأسرة انتماؤهم إليها.. وأعتقد أن "**جرفيز**" كان شديد الحساسية في هذا الصدد، وكانت الآنسة "**لنجارد**" تعاونني أنا أيضا، وقد جاءتني بكثير من المعلومات

عن الملكة "**حتشبسوت**" ، التي تقمصت روحها جسدي.. وقد نطقت السيدة "**جور**" بالعبارة الأخيرة بهدوء أذهل الرجلين.. فتبادلا نظرة ذات معنى، وتحرك العقيد "**ريدل**" في مقعده بقلق.. واستطردت السيدة "**جور**" قائلة:

– إنني كنت كاهنة في "**أتلانتيس**" قبل أن تتقمصني روح "**حتشبسوت**". فقال "**ريدل**" :

– ما أطرف هذا! شكرا على هذه المعلومات الخطيرة يا سيدة "**جور**" .. أظن أنك أدليت إلينا بما فيه الكفاية. فنهضت السيدة "**جور**" واقفة وقالت وهي تجمع أطراف غلالتها حول جسدها:

– طاب مساؤكما.. ثم انحرفت نظرتها إلى شيء خلف العقيد "**ريدل**" واستطردت قائلة:

– طاب مساؤك يا عزيزي "**جرفيز**" ، كنت أرجو أن تحضر ولكني أعلم أنك مضطر إلى البقاء حيث أنت. ثم استطردت موضحة:

– إنك ستبقي حيث أنت أربعا وعشرين ساعة على الأقل قبل أن تتحرر وتستطيع التحرك والاتصال بي. وغادرت الغرفة، فجفف "**ريدل**" العرق المنصب على جبينه، وغمغم قائلاً:

– يا إلهي!

إنها أشد جنونا مما ظننت.. ترى هل تؤمن حقًا بهذه الخزعبلات؟ فهز "**بوارو**" رأسه وأجاب:

– لعلها تجد في ذلك عونا لها على ما تعاني، إنها تحتاج في ظروفها الحالية إلى عالم آخر من صنع خيالها تلوذ به من الحقيقة المزعجة، ومن آلامها لموت زوجها. فقال "**ريدل**" :

– لو كان الأمر بيدي لأرسلتها إلى مستشفى الأمراض العقلية، لقد قالت كلاما كثيرا ليست فيه عبارة واحدة لها معنى.

– كلا.. كلا يا صديقي، هناك مسألة مهمة أشار إليها السيد "**ترانت**" عرضا في حديثه إليّ.. أن الخبل الذي تعيش فيه هذه السيدة تتخلله في بعض الأحيان لحظات تكشف عن الذكاء، وبعد النظر.. وليس أدل على ذكائها مما ذكرته عن لباقة الآنسة "**لنجارد**" وتجنبها التنقيب عن غير المرغوب فيهم من أسلاف السيد "**جرفيز جور**".. صدقني.. إن السيدة "**جور**" ليست من البلاهة كما تتوهم. قال ذلك، ونهض واقفا، وراح يمشي في الغرفة جيئة وذهابا، ثم استطرد قائلا بعد لحظة:

– توجد في هذه القضية أشياء كثيرة لا أرتاح إليها.. فنظر إليه "**ريدل**" في فضول وسأله:

– هل تعني الاندفاع إلى الانتحار؟

– الانتحار ؟ إن نظرية الانتحار لا تقوم على أساس سيكولوجي سليم.. دعنا ننظر إلى "**جرفيز جور**" بالعين التي كان ينظر بها إلى نفسه. لقد كان يعتبر نفسه عملاقا بين الأقزام، وشخصية عظيمة لها أهميتها وخطورتها... بل كان يعتبر نفسه محورا للعالم الذي يعيش فيه، فكيف نتوقع أن يورد رجل كهذا نفسه مورد الهلاك! كلا.. كلا.. لا يمكن أن يقدم على إهلاك نفسه، ولعل أقرب إلى المنطق أن يهلك أي إنسان آخر.. أية حشرة آدمية تجرؤ على إزعاجه ومضايقته.. ويكون ذلك في نظره عملا منطقيا.. أما أن يهلك نفسه.. فذلك آخر ما يمكن أن يخطر ببال رجل مثله.

– هذا كلام حسن يا "**بوارو**".. ولكن الأدلة واضحة.. أعلم أن هناك أشياء لا تحدث إلا في القصص، وقضيتنا اليوم ليس فيها مجال لمثل هذه

الأوهام والخيالات.. هل ثمة شيء آخر؟

– نعم.. هناك شيء آخر. جلس على المقعد واستطرد قائلا:

– لنفترض أنني "**جرفيز جور**".. هأنذا جالس إلى مكتبي وقد قررت الانتحار لسبب ما.. لأي سبب، كأن أكون قد اكتشفت فضيحة شنيعة تلوث اسم أسرتي التي أقدسها، أعلم أن هذا سبب غير مقنع، ولكن لنفترض جدلا أنه السبب فماذا أفعل؟ أكتب على قصاصة من الورق كلمة "متأسف"، ثم أفتح الدرج، وأتناول المسدس الذي أحتفظ به فيه، ثم أحشوه إذا لم يكن محشوا، ثم.. هل أطلق الرصاص على نفسي؟ كلا.. بل أدور أولا في مقعدي، وأنحني قليلا إلى اليمين. ثم.. ثم أضع فوهة المسدس على صدغي، وأطلق النار. قال "**بوارو**" ذلك، ووثب واقفا، وتحوَّل إلى محدثه.. واستطرد:

– إنني أسألك، هل تجد تصرفي هذا معقولا؟ لماذا أدور في مقعدي؟ لو أن على الجدار صورة معينة، لقلنا إن هناك سببا، هو أن الرجل أراد أن يموت وعيناه على الصورة التي يحبها، أو التي تمثل شخصا يحبه ويعزه.. ولكننا لا نرى في هذا الاتجاه الذي تحول إليه سوى نافذة عليها ستار.. كلا.. كلا.. إنني لا أصدق أنه انتحر.

– لعله نظر إلى النافذة، ليكون منظر أملاكه في الخارج هو آخر شيء يقع عليه بصره.

– يا صديقي العزيز.. إنك تقول هذا الكلام وأنت غير مقتنع به، وأنت تعلم أنه كلام فارغ، في الساعة الثامنة وثماني دقائق لا يرى الإنسان سوى الظلام، ثم إن الستار كان مسدلا فوق النافذة، كلا.. لابد أن هناك تفسيرا آخر.

– لست أرى سوى تفسير واحد.. هو أن "**جرفيز جور**" كان مجنونا. فهز "**بوارو**" رأسه دلالة على عدم الاقتناع، ونهض العقيد "**ريدل**" واقفا وهو يقول:

– هلم معي. دعنا نستجوب بقية المدعوين.. من يدري فقد يرشدنا ذلك إلى طرف الخيط.

- 5 -

الاستجواب

أحس العقيد "**ريدل**" بارتياح شديد بعد المشقة التي وجدها في استجواب السيدة "**جور**" حين بدأ حديثه مع رجل معقول كالمحامي "**فوريس**". كان "**فوريس**" حريصا ومتحفظًا في حديثه، ولكن إجاباته كانت في الصميم وقد اعترف بأن انتحار السيد "**جرفيز جور**" كان صدمة شديدة له، وقرر أنه لم ينظر إلى "**جرفيز**" قط كرجل يمكن أن يقدم على الانتحار. ثم قال إنه لا يعرف أي سبب يدعوه إلى مثل هذا العمل. قال:

– لم يكن السيد "**جرفيز جور**" بالنسبة إليَّ عميلا فحسب بل كان كذلك صديقا قديما.. وقد عرفته منذ الطفولة، وأستطيع أن أقول إنه كان يحب الحياة ويستمتع بها.

– أرجوك أن تكون صريحا جدًّا يا سيد "**فوريس**"، فهذه الظروف تتطلب الصدق والصراحة.. هل كان السيد "**جرفيز**" يعاني قلقا خفيا ينغص حياته؟ هل كان هناك ما يقلقه، أو يخيفه، أو يحزنه؟

– لا.. كانت له بعض متاعب خفيفة ككل إنسان في هذه الحياة، ولكن لم

يكن هناك شيء خطير يحمله على الانتحار. فقال "**ريدل**" في حذر ودهاء:

– يبدو أن للسيدة "**جور**" وجهات نظر لا تخلو من الغرابة. فابتسم "**فوريس**" ابتسامة عطف وتسامح وأجاب:

– من حق النساء أن يتخيلن ما يرين. فسأله "**ريدل**":

– هل تعالج جميع شؤون السيد "**جرفيز**" القانونية والقضائية؟

– نعم، إن المكتب الذي أشترك في إدارته يشرف على شؤون آل "**جور**" القضائية منذ نحو مائة عام.

– هل كانت هناك فضائح في أسرة "**جرفيز جور**"؟ فقطب "**فوريس**" حاجبيه وقال:

– في الحق لست أفهم ماذا تعني؟

– السيد "**بوارو**"، أرجو أن تعرض على السيد "**فوريس**" الرسالة التي عرضتها عليّ. فنهض "**بوارو**" واقفا ببطء ووضع الرسالة بين يدي "**فوريس**"، وقرأها هذا، وقطب حاجبيه، وغمغم:

– رسالة عجيبة حقًّا.. الآن فهمت معنى سؤالك.. لا، إنني على قدر ما أعلم لا أجد ما يبرر كتابة مثل هذه الرسالة.

– ألم يذكر لك السيد "**جرفيز**" شيئًا بهذا الصدد؟!

– نعم.. إطلاقًا.. وذلك يثير دهشتي وعجبي.

– هل اعتاد أن يثق بك؟

– أعتقد أنه كان يعتمد على حسن تقديري للأمور.

– أليست لديك أية فكرة عن الموضوع الذي يشير إليه في هذه الرسالة؟

– ليس من الحكمة أن ألقي الكلام على عواهنه. كان ردا بارعا لم يغب مغزاه عن "**ريدل**". قال:

– والآن يا سيد "**فّوريس**" هل تستطيع أن تذكر لنا الطريقة التي وزع بها السيد "**جرفيز جور**" أمواله وممتلكاته؟

– بالتأكيد .. وليس ثمة ما يمنعني من ذلك. لقد ترك السيد "**جرفيز جور**" لزوجته ستة آلاف جنيه إيراداً سنويا من ممتلكاته، وترك لها مطلق الحرية في اختيار أحد البيتين اللذين يمتلكهما. وقد تضمنت وصيته عدة هبات أخرى ليست على شيء من الأهمية. والمهم أنه ترك بقية ممتلكاته لابنته "**روث**"، واشترط عليها إذا تزوجت أن يتسمى زوجها باسم أسرة "**جور**".

– ألم يترك شيئا للسيد "**هيجو ترانت**" ابن أخته؟

– بلى. لقد أوصى له بخمسة آلاف جنيه.

– هل كان السيد "**جرفيز جور**" من الأثرياء؟

– كان على جانب عظيم من الثراء، وكانت له ثروته الخاصة فضلا عن أملاك الأسرة، على أن أمواله المستثمرة تأثرت بالحالة الاقتصادية في السنوات الأخيرة، وأعتقد أنه استثمر مبالغ طائلة في شركة للمطاط نصحه العميد "**بيري**" باستثمار أمواله فيها.

– ولم تكن الفكرة صائبة؟ فتنهد "**فوريس**" وأجاب:

– إن الضباط المتقاعدين هم أسوأ الناس حظا في مجال الاستثمارات، والعمليات المالية.. إنهم أشد سذاجة من الأرامل، وأعتقد أن في هذا القول ما يكفي.

– وهذه الاستثمارات غير الموفقة هل أثرت في إيراد السيد "**جرفيز**" تأثيرا سيئا؟

– لا .. لا؛ فقد كان رجلا غنيا، بصرف النظر عن أمواله المستثمرة..

– متى كتب السيد "**جرفيز**" وصيته؟

– منذ عامين. فغمغم "**بوارو**" :

– ألا ترى معي أن توزيع تركة السيد "**جرفيز**" على هذا النحو ينطوي على غبن بيّن بالسيد "**هيجو ترانت**" الذي هو ابن أخته، وأقرب الناس إليه؟ فهز "**فوريس**" كتفيه وأجاب :

– أظن أنه يجب الإلمام بتاريخ الأسرة قبل بحث مثل هذه الأمور.

– ماذا تعني؟ فقلب "**فوريس**" شفته، ولم يبد عليه أنه يريد الإفضاء بالمزيد، فقال "**ريدل**" :

– لا ينبغي أن تعتقد أننا نريد إثارة الفضائح القديمة بغير مبرر.. إن هذه الرسالة التي بعث بها السيد "**جرفيز**" إلى السيد "**بوارو**" تحتاج إلى إيضاح.. ولابد من معرفة الأسباب التي حملته على كتابتها.. ومن المرجح أن هناك صلة بين هذه الأسباب والبواعث التي حملت السيد "**جرفيز**" على الانتحار. فأجاب "**فوريس**" بسرعة :

– من المحقق أنه لا توجد أية أسباب فاضحة لموقف السيد "**جرفيز**" من ابن أخته.. والمسألة باختصار هي أن السيد "**جرفيز**" كان يبالغ في أهمية مركزه بصفته رب الأسرة. لقد كان له شقيقان أصغر منه، أخ يدعى "**أنتوني جور**" وقد قُتل في الحرب ، وأخت هي "**باميلا جور**" التي تزوجت الكابتن "**ترانت**" دون موافقة السيد "**جرفيز**". وقد كان السيد "**جرفيز**" يعتقد أن أسرة الكابتن "**ترانت**" ليست جديرة بالارتباط بأسرة "**جور**"، وقد سخرت أخته من وجهة نظره ، وتزوجت على الرغم من إرادته، وكانت النتيجة أنه خاصم أخته، وكره ابنها، وحملته هذه الكراهية على تبني "**روث**".

– ألم يكن هناك أمل في أن يرزق بأولاد من صلبه؟

– نعم. لم يكن هناك أمل.. فقد أجهضت زوجته بعد عام من زواجهما،

وقال الأطباء للسيدة "**جور**" إنها لن تحمل مرة أخرى.. وبعد عامين تبنى السيد "**جرفيز**" "**روث**". فسأله "**بوارو**":

– ومن "**روث**" هذه؟ ولماذا وقع الاختيار عليها دون سواها؟

– أعتقد أنها تمت إلى السيد "**جرفيز جور**" بصلة قرابة بعيدة. قال "**بوارو**":

– ذلك ما خطر لي. ثم نظر إلى الصورة العائلية المثبتة على الجُدار، وأردف قائلاً:

– من الواضح أن دم الأسرة يجري في شرايينها، ثم إن لها نفس الأنف، ونفس الذقن اللذين نراهما في جميع هذه الصور. فقال "**فوريس**" بشيء من الجفاء:

– ولها أيضا نفس الطباع.

– أظن ذلك، وكيف كانت الصلة بينها وبين أبيها السيد "**جرفيز جور**"؟

– كالصلة بين أي شخصين لهما نفس الطباع. صراع دائم بين إرادتين كالفولاذ.. ولكني أعتقد أنه كان بينهما – على الرغم من ذلك – تشابه عظيم في الميول والمشارب.

– هل كانت تسبب له الكثير من الضيق؟

– كانت تثير قلقه ومخاوفه، ولكن ليس إلى الحد الذي يحمله على الانتحار.

– آه! كلا.. لا أعني ذلك؛ فإن الإنسان لا يطلق الرصاص على نفسه لمجرد أن له ابنة عنيدة.. إذن فالآنسة "**روث**" سترث السيد "**جرفيز جور**"؟.. وبهذه المناسبة.. ألم يفكر السيد "**جرفيز**" قط في تغيير وصيته؟ فسعل "**فوريس**"؛ ليخفي حيرته وضيقه، وقال:

– الواقع أن السيد "**جرفيز**" أصدر إليّ تعليماته عقب قدومي إلى هنا، أي

منذ يومين ، لوضع صيغة وصية جديدة. فهتف "**ريدل**" وقد ظهرت على وجهه دلائل الاهتمام:

– ماذا قلت؟ إنك لم تذكر لنا شيئًا عن هذه الوصية. فأجاب "**فوريس**" بسرعة:

– إنك سألتني عن المنتفعين بوصية السيد "**جرفيز**" فقط، وقد أدليت إليك بالمعلومات التي طلبتها.. أما الوصية الجديدة فإنها لم توضع بعد في صيغتها النهائية.. ولم توقع بطبيعة الحال..

– ماذا تضمنت الوصية الجديدة؟ لعل مضمونها يكشف لنا عما يجول بخاطر السيد "**جرفيز**".

– إن الوصية الجديدة لا تختلف عن الوصية القديمة، إلا في أنها علقت حق "**روث**" في الحصول على نصيبها في التركة بشرط، هو الاقتران بالسيد "**هيجو ترانت**". فصاح "**بوارو**":

– إن الاختلاف كبير بين الوصيتين كما ترى. فأجاب "**فوريس**":

– أنا شخصيا لم أوافق على هذا الشرط، وقد أوضحت للسيد "**جرفيز جور**" بأن الآنسة "**روث**" تستطيع إلغاءه إذا هي لجأت إلى القضاء؛ ذلك لأن المحاكم لا تقر مثل هذا النوع من الهبات المشروطة، ولكن السيد "**جرفيز**" صمم على رأيه.

– هب أن الآنسة "**روث**" ، أو السيد "**ترانت**"، رفض أحدهما النزول على إرادة المورث؟

– إذا رفض السيد "**ترانت**" فإن التركة تؤول إلى الآنسة "**روث**" بلا قيد، ولا شرط.. أما إذا وافق، ورفضت هي، فإن التركة تؤول إليه وحده. فغمغم "**ريدل**" قائلاً:

– يا لها من وصية عجيبة!! انحنى "**بوارو**" إلى الأمام، وقال وهو يضع يده على ركبة المحامي:

– ولكن ماذا وراء هذه الوصية؟ ماذا كان يعتمل في نفس السيد "**جرفيز جور**" حين قرر تعديل الوصية، وتسجيل هذا الشرط الجديد؟ لابد أن شيئًا حدث فحمله على أن يفعل ذلك..

– إن وراء تعديل الوصية على هذا النحو رجلا تريد الآنسة "**روث**" أن تقترن به، ولكن السيد "**جرفيز**" لا يوافق عليه...

– أعتقد يا سيد "**فوريس**" أنك في مركز يسمح لك بمعرفة هذا الرجل.. فمن هو؟

– الحق يا سيد "**بوارو**" أنني لا أعلم. فقال "**ريدل**" مستنكرا:

– ولكن في استطاعتك أن تخمن..

– إنني لا ألجأ إلى الحدس والتخمين أبدا. ثم رفع عويناته، وجفف عينيه بمنديله، وقال:

– هل هناك شيء آخر تريد معرفته ؟ فأجاب "**بوارو**":

– لا شيء في الوقت الحاضر. فنظر "**فوريس**" إلى العقيد "**ريدل**" وفي عينيه نفس السؤال الذي ألقاه على "**بوارو**"، فقال "**ريدل**":

– شكرا لك يا سيد "**فوريس**".. هذا يكفي الآن، حبذا لو أرسلت إلينا الآنسة "**روث**"..

– بالتأكيد.. بالتأكيد.. أعتقد أنها في الطابق الأول مع السيدة "**جور**".

– ربما كان من الأفضل أن أتحدث أولا إلى المدعو "**بورروز**"، وإلى تلك السيدة التي كانت تعمل مع السيد "**جرفيز**" في وضع تاريخ الأسرة..

– إنهما في المكتبة.. وسأبعث بهما إليك.

- 6 -

سر الجريمة

هتف "**ريدل**" وهو يشيع المحامي العجوز ببصره:

– يا لها من قضية!! ليس أشق من انتزاع المعلومات من هؤلاء المحامين الشيوخ.. الرأي عندي أن المسألة كلها تتركز في الفتاة.. فقال "**بوارو**":

– ذلك ما يُخيّل إليّ..

– هو ذا "**جودفري بوروز**". دخل "**بوروز**" وعلى شفتيه ابتسامة مصطنعة.. قال "**ريدل**":

– أريد أن ألقي عليك بعض الأسئلة يا سيد "**بوروز**".

– سل ما شئت يا عقيد "**ريدل**"..

– حدثني أولا.. وبكل صراحة ووضوح.. هل لديك أية فكرة عن الأسباب التي حملت السيد "**جرفيز جور**" على الانتحار؟

– لا.. على الإطلاق.. وقد كان الحادث مفاجأة لي.

– هل سمعت صوت الطلق الناري؟

– لا.. لابد أنني كنت في قاعة المكتبة في ذلك الوقت، لقد حضرت مبكرا وقصدت مباشرة إلى المكتبة؛ للبحث عن أحد المراجع.. ولما كانت المكتبة تقع في الجانب الآخر من المنزل فقد كان من الطبيعي ألا أسمع ما يحدث في غرفة المكتب. فسأله "**بوارو**":

– هل كان معك أحد في المكتبة؟

– لا.

– هل تعرف أين كان بقية المدعوين في ذلك الوقت؟

– أعتقد أن أكثرهم كانوا يرتدون ثيابهم في الطابق الأول.

– ومتى ذهبت إلى قاعة الاستقبال؟

– قبيل وصول السيد "**بوارو**".. وكان الجميع هناك.. فيما عدا السيد "**جرفيز جور**" دون شك..

– ألم تدهش لتخلفه؟

– بل دهشت؛ فقد جرت العادة أن يكون موجودا بقاعة الاستقبال عندما يدق الناقوس الأول.

– هل لاحظت تغيرا في حالة السيد "**جرفيز**" في المدة الأخيرة، أعني هل لاحظت أنه كان قلقا، أو منزعجا؟ ففكر "**بورروز**" قليلاً، ثم أجاب:

– لا.. لا أظن أنني لاحظت شيئًا من ذلك.. كل ما هنالك أنه كانت تبدو عليه دلائل التفكير.

– ولكنه لم يكن قلقا، أو منزعجا لسبب معين؟

– كلا.. كلا.

– ألم تكن لديه متاعب مالية من أي نوع؟

– كان يشعر بالضيق من الحالة التي وصلت إليها إحدى الشركات.. وبالتحديد، شركة "المطاط الصناعي".

– ماذا قال عن هذه الشركة؟ فارتسمت على شفتي "**بورروز**" تلك الابتسامة المصطنعة مرة أخرى وأجاب:

– الواقع أنني سمعته يقول بالحرف الواحد: «إن "**بيري**" العجوز لابد أن يكون مغفلا، أو وغدا وأعتقد أنه مغفل، ولكني يجب أن أترفق به من أجل "**فاندا**"». فسأله "**بوارو**":

– ولماذا قال (من أجل "**فاندا**")؟

– ذلك لأن السيدة "**جور**" تعطف على "**بيري**"، و"**بيري**" من ناحيته يحبها حب جنون، ويتبعها كالكلب الأمين.

– ألم يكن السيد "**جرفيز**" يغار منه؟

فانفجر "**بوروز**"ضاحكا وهتف:

– يغار منه؟ السيد "**جرفيز جور**" يغار؟ لقد كان يعتقد بأنه لا يوجد في الدنيا إنسان يفضل عليه، تلك كانت عقليته. فقال "**بوارو**":

– أظنك لم تكن تحب السيد "**جرفيز**"! فاحمرَّ وجه "**بوروز**" وأجاب:

– بل كنت أحبه، على الرغم من آرائه التي تبدو في هذا الزمن عتيقة لا محل لها.

– وما تلك الآراء؟

– أعني آراءه كرجل إقطاعي، وطريقته في تمجيد أسلافه، ثم صلفه وغروره.. لقد كان السيد "**جرفيز**" رجلا موهوبا في نواح كثيرة، وكانت حياته طريفة إلى أبعد حد، ولولا أنانيته وصلفه لأصبح له شأن آخر.

– هل توافقك ابنته على هذا الرأي؟ فاحمرَّ وجه "**بوروز**" مرة أخرى وأجاب:

– أعتقد أن الآنسة "**روث**" فتاة عصرية لا تقر وجهة نظر أبيها فيما يتصل بتقديس الأسرة، وتكريم الأسلاف، على أنه لم يكن من الطبيعي أن أناقش معها تصرفات أبيها وسلوكه. فقال "**بوارو**"

– إن الشباب العصري يناقش ذويه وينتقدهم، هذه هي الروح السائدة في هذه الأيام. فهز "**بوروز**" كتفيه، وقال "**ريدل**":

– ألم يكن هناك شيء آخر كالمتاعب المالية مثلا؟ ألم يتحدث السيد "**جرفيز**" عن أحد حاول سرقته أو الاحتيال عليه؟ فقال "**بوروز**" في دهشة:

– الاحتيال عليه؟! لا . . لم يحدث.

– وأنت؟ هل كنت على صلة طيبة به؟

– بالتأكيد . . ولِمَ لا؟

– إنه مجرد سؤال يا سيد "**بورروز**".

–كانت العلاقات بيننا طيبة إلى أقصى حد.

– هل تعلم أن السيد "**جرفيز**" أرسل إلى السيد "**بوارو**" يدعوه للحضور؟

– لا.

– هل كان السيد "**جرفيز**" يكتب رسائله بنفسه دائما؟

– لا . . كان يملي عليّ الرسائل.

– ولكنه لم يملِ عليك الرسالة التي بعث بها إلى السيد "**بوارو**" . .؟

– كلا.

– ما السبب فيما تعتقد؟

– لا أعلم.

– هل تعتقد أن هناك سببا خاصا حمله على كتابة هذه الرسالة بنفسه . .؟

– لا أعلم.

– إن الأمر يبدو عجيبا حقًّا . . متى رأيت السيد "**جرفيز جور**" آخر مرة؟

– قبل أن أستبدل ثيابي استعداداً لتناول العشاء ذهبت إليه ببعض الرسائل لتوقيعها.

– كيف كانت حالته وقتئذ؟

– كان طبيعيا . . بل لقد خُيّل إليّ أنه راض عن نفسه جدًّا لسبب ما . .

فتحرك "**بوارو**" في مقعده بقلق، وقال:

– إذن فقد أحسست بذلك؟ أحسست بأنه راضٍ عن نفسه لسبب ما،

ومع ذلك فإنه انتحر بعد قليل بأن أطلق الرصاص على رأسه.. ألا يبدو ذلك عجيبا ومثيرا؟ فهز "**بوروز**" كتفيه وأجاب:

– لقد ذكرت لك ملاحظاتي ومشاعري.

– نعم.. نعم، لقد ذكرت أشياء لها أهميتها، ومن المحقق أنك أحد الأشخاص الذين رأوا السيد "**جرفيز**" قبيل انتحاره.

– أعتقد أن "**ستيل**" آخر من رآه على قيد الحياة.

– ربما كان آخر من رآه، ولكنه ليس آخر من تحدث إليه. فصمت "**بوروز**" ولم يجب. قال "**ريدل**":

– كم كانت الساعة عندما ذهبت لاستبدال ثيابك استعدادا لتناول العشاء؟

– كانت حوالي السابعة وخمس دقائق.

– وماذا فعل السيد "**جرفيز**"؟

– إنني تركته في غرفة المكتب.

– كم من الوقت يستغرق السيد "**جرفيز**" في استبدال ثيابه عادة؟

– نحو ثلاثة أرباع الساعة.

– إذا كان موعد العشاء هو الثامنة والربع، فلابد إذن أنه ذهب لاستبدال ثيابه في السابعة والنصف على الأكثر؟

– نعم.

– أما أنت فإنك استبدلت ثيابك في وقت مبكر؟

– نعم؛ فقد خطر لي أن أستبدل ثيابي أولا، ثم أذهب بعد ذلك إلى المكتبة؛ للبحث عن المراجع التي أريدها. فأطرق "**بوارو**" برأسه مفكرا، وقال "**ريدل**":

– أعتقد أن في ذلك الكفاية الآن.. هل تتفضل بإرسال الآنسة التي كانت تعمل مع السيد "**جرفيز**" في وضع تاريخ الأسرة؟ جاءت الآنسة "**لنجارد**"، وجلست على أحد المقاعد ورفعت عويناتها السوداء، وراحت تنقل البصر بين "**ريدل**" و"**بوارو**". قال الأول:

– كل هذا محزن للغاية يا آنسة "**لنجارد**" أليس كذلك؟ فقالت باقتضاب:

– بلى. محزن حقًّا.

– متى قدمت إلى هذا المنزل؟

– منذ شهرين تقريبا؛ فقد حدث أن كتب السيد "**جرفيز**" إلى صديق له في المتحف البريطاني؛ لترشيح شخص يعاونه في وضع تاريخ أسرة "**جور**"، ووقع الاختيار عليّ؛ إذ قد سبق لي القيام بعدة بحوث تاريخية.

– هل كان السيد "**جرفيز**" رجلا صعب المراس في العمل؟

– لا.. مطلقا.. كان عليّ أن أتملقه وألاطفه في بعض الأحيان بطبيعة الحال، ولكنه لا يختلف في ذلك عن سواه؛ لقد وجدت لزامًا عليّ أن أفعل مثل ذلك مع جميع الرجال الذين عملت معهم. فمضى "**ريدل**" في أسئلته، وهو يتوقع في أية لحظة أن تتملقه الآنسة "**لنجارد**" وتلاطفه هو الآخر، وقال:

– هل كان عملك هنا قاصرا على مساعدة السيد "**جرفيز جور**" في وضع كتابه؟

– نعم.

– ماذا كان عملك بالتفصيل؟ فانبسطت أسارير الآنسة "**لنجارد**"، وتألقت عيناها لحظة وقالت:

– الواقع أنني كنت أقوم بكافة الأعمال التي يتطلبها وضع الكتاب كجمع

المعلومات، والبحث عن الوثائق والمستندات، وكتابة المذكرات ، وترتيب المواد، ثم مراجعة كل ما يكتبه السيد "**جرفيز**" . فقال "**بوارو**" :

– أظن أنك وجدت نفسك أحيانا في مواقف تتطلب الكثير من الكياسة واللباقة؟

– نعم . . الكياسة والحزم ؛ إذ لا غناء عنهما لإنجاز الأعمال .

– ألم يضق السيد "**جرفيز**" بما كنت تبدين من . . من حزم؟

– نعم . . لم يحدث، وكان عليّ أن أقنعه بين وقت وآخر بضرورة التجاوز عن التفصيلات التافهة .

– أفهم ذلك .

– الواقع أن مهمتي لم تكن شاقة، خصوصًا وأن السيد "**جرفيز**" كان رجلا سهل القيادة لمن يعرف كيف يسوسه .

– هل لي أن أسألك يا آنسة "**لنجارد**" عما إذا كنت تعرفين شيئًا يلقي مزيدا من الضوء على هذه المأساة؟ فهزت رأسها وأجابت :

– الواقع أنني لا أعرف شيئًا . إنني غريبة عن الأسرة ولم يكن السيد "**جرفيز**" يبوح لي بشيء من شؤونه العائلية . . وأعتقد أن صلفه وكبرياءه، كانا يمنعانه من أن يبوح بذلك لأي إنسان .

– هل تعتقدين أن متاعبه العائلية هي سبب انتحاره؟ فظهرت الدهشة على وجه الآنسة "**لنجارد**" وأجابت :

– بالتأكيد . . هل تظن أن هناك أسبابا أخرى؟

– هل أحسست بأن هناك متاعب عائلية تزعجه وتضايقه؟

– بل أحسست أن هناك ما يشغله ويقلقه .

– هل أحسست بذلك؟

– بالتأكيد.

– أنبئيني يا آنسة.. هل حدثك يوما عما يضايقه؟

– لم يذكر ذلك بوضوح.

– ماذا قال لك؟

– لاحظت أنه لا يلقي بالا إلى ما أقوله له..

– صبرا لحظة.. متى كان ذلك؟

– بعد ظهر اليوم؛ فنحن نشتغل معا عادة بين الثالثة والخامسة بعد ظهر كل يوم.

– نعم. امضي في حديثك.

– لاحظت أنه مشتت الفكر، وقد اعترف هو نفسه بذلك وقال إن هناك أمورا كثيرة تشغل باله. وأذكر أنه قال ما يلي بالحرف الواحد: «إن من المؤلم حقًّا يا آنسة "**لنجارد**" أن ينزل العار بأسرة من أعرق وأكرم الأسر في هذه البلاد».

– وبماذا أجبت؟

– حاولت أن أرفه عنه، وأعتقد أنني قلت له: «إن كل جيل له مواطن ضعفه.. وقلما تخلو أسرة عظيمة من خلف سيئ، وأن هذه ضريبة المجد».

– وهل أزالت كلماتك ما بنفسه من مرارة؟

– لا أعلم؛ فقد تحدثنا بعد ذلك عن واحد من أسلافه، يدعى السيد "**روجر جور**"، وكنت قد عثرت على معلومات خاصة به في أحد المؤلفات الحديثة، ولكني لاحظت أن ذهن السيد "**جرفيز**" قد شرد مرة أخرى.. ثم قال في النهاية إنه لن يستطيع مواصلة العمل اليوم، وإنه يشعر بصدمة.

– صدمة؟

– ذلك ما قاله، وبالتأكيد لم أجسر على سؤاله، قلت له فقط: « يؤسفني ذلك يا سيد "**جرفيز**" »، ثم طلب إليَّ أن أنبئ "**ستيل**" بقدوم السيد "**بوارو**". وبأن عليه أن يؤخر موعد العشاء إلى الساعة الثامنة والربع، وأن يرسل السيارة لانتظاره بقطار الساعة السابعة والدقيقة الخمسين.

– هل اعتاد أن ينيط بك مثل هذه المهام؟

– لا.. فذلك من اختصاص السيد "**بورروز**"، إن عملي قاصر على إعداد مواد الكتاب، ولم أقم قط بدور السكرتيرة، فسألها "**بوارو**":

– هل تعتقدين أن هناك أسبابا معينة حملت السيد "**جرفيز جور**" على تكليفك بهذه المهمة بدلا من السيد "**بورروز**"؟ ففكرت الآنسة "**لنجارد**" لحظة ثم أجابت:

– ربما.. ولكني لم أفكر في ذلك، على أنني تذكرت الآن أنه طلب مني وقتذاك ألا أنبئ أحدا بقدوم السيد "**بوارو**"، وقال إنه يريد أن يجعل قدومه مفاجأة للمدعوين.

– هل قال ذلك حقًّا؟ ما أعجب هذا! وهل أنبأت أحدًا؟

– لا يا سيد "**بوارو**"، وإنما أنبأت "**ستيل**" بشأن تأخير موعد العشاء، وإرسال سائق السيارة؛ لاستقبال مدعو قادم بقطار الساعة السابعة والدقيقة الخمسين.

– هل قال لك السيد "**جرفيز جور**" شيئًا آخر يمكن أن يجلو الموقف؟ ففكرت الآنسة "**لنجارد**" قليلاً، ثم أجابت:

– لا. ولكنه كان في حالة نفسية سيئة، وأذكر أنني سمعته يقول وأنا أهم بمغادرة الغرفة: « لا أظن أن هناك فائدة من قدومه الآن.. لقد فات الوقت ».

– هل تعلمين ماذا كان يعني بذلك؟ فأجابت بعد تردد لم يطل أكثر من

طرفة عين:

– لا. فقطب "**بوارو**" حاجبيه وردد:

– لقد فات الوقت.. ذلك ما قاله.. «لقد فات الوقت». فقال "**ريدل**":

– ألا تعرفين شيئًا عن طبيعة الظروف التي كانت تضايقه يا آنسة "**لنجارد**"؟ فأجابت ببطء:

– بلى. أعتقد أنه كان يضيق بشيء له صلة بالسيد "**هيجو ترانت**".

– "**هيجو ترانت**"؟ وماذا يحملك على هذا الاعتقاد؟

– لا شيء على وجه التحديد، ولكن حدث أمس أن ورد ذكر السيد "**هيجو جور**"، أحد أسلاف السيد "**جرفيز جور**" ولم يكن قد أبلى أحسن البلاء في الحرب الأهلية، فقال السيد "**جرفيز**" بامتعاض: «أليس عجيبا أن تختار شقيقتي لابنها اسم "**هيجو**" من دون الأسماء جميعًا؟ إن جميع الذين حملوا هذا الاسم في أسرتنا قد جلبوا العار على الأسرة بطريقة أو بأخرى.. وكان يجدر بأختي أن تعلم أن الأسرة لم تنجب "**هيجو**" واحدا يرفع رأسها». فقال "**بوارو**":

– إن هذا الذي تقولينه يوحي بأشياء كثيرة. وسألها "**ريدل**":

– ألم يوضح السيد "**جرفيز**" أكثر من ذلك؟ فهزت الآنسة "**لنجارد**" رأسها وأجابت:

– نعم.. لم يحدث. وطبيعي أنني لم أجد ما أقوله تعقيبا على كلامه فلزمت الصمت، خصوصًا وقد خُيل إليَّ أنه يتحدث إلى نفسه لا إليّ. فقال "**بوارو**":

– أصغي إليّ يا آنسة. إنك غريبة عن هذه الأسرة، وقد قضيت في هذا البيت نحو شهرين. فهل تستطيعين أن تذكري لنا في صراحة ووضوح الأثر

الذي تركه أفرادها في نفسك؟ فأجابت بعد تفكير قصير:

– الحق أنني شعرت في البداية كأنني أعيش في مستشفى الأمراض العقلية؛ فالسيدة "**جور**" تتحدث باستمرار عن أشياء لا نراها، والسيد "**جرفيز جور**" يعيش كأحد ملوك القرون الوسطى، وكل شيء يوحي بأنني بين قوم على جانب عظيم من الشذوذ، وغرابة الأطوار.. لقد كانت الآنسة "**روث**" هي الوحيدة التي تتصرف بعقل واتزان، ولكني ما لبثت بعد ذلك أن اكتشفت أن السيدة "**جور**" هي في الواقع سيدة طيبة القلب، رضية الخلق، بل إنها أكرم وأظرف سيدة قابلتها في حياتي، أما السيد "**جرفيز جور**" فإنه مجنون ويحب نفسه، وجنونه يتفاقم يوما بعد يوم.

– والآخرون؟

– أعتقد أن السيد "**بورروز**" قد عانى كثيرا مع السيد "**جرفيز**"، وأن اشتغالنا بوضع الكتاب هيأ له فرصة للراحة والتنفس، أما العميد "**بيري**" فإنه رجل رضي الخلق، يخلص للسيدة "**جور**" كل الإخلاص، وقد عرف كيف يُرضي السيد "**جرفيز**"، وأما السيد "**ترانت**"، والسيد "**فوريس**"، والآنسة "**كاردويل**" فإنهم قدموا منذ أيام قلائل، ولست أعرف عنهم ما يستحق الذكر.

– شكرا لك يا آنسة.. وما قولك في الكابتن "**ليك**" وكيل أعمال "**جرفيز**"؟

– إنه شاب ظريف، والجميع يحبونه.

– بما فيهم السيد "**جرفيز**"؟

– نعم، وقد سمعته يقول إن الكابتن "**ليك**" هو أفضل وكيل أعمال اشتغل معه، وطبيعي أنه كان للكابتن "**ليك**" متاعبه مع السيد "**جرفيز**"، ولكنه

أحسن التصرف بصفة عامة. فأطرق "**بوارو**" برأسه مفكرا وغمغم:

- هناك شيء .. شيء تافه، كنت أود أن أسألك عنه؟ فنظرت إليه الآنسة "**لنجارد**" في هدوء، وانتظرت في صبر وأناة. وهز "**بوارو**" رأسه في ضيق ولم تسعفه ذاكرته. فاستأنف "**ريدل**" استجواب المرأة.

- متى رأيت السيد "**جرفيز**" آخر مرة؟

- وقت تناول الشاي.. في هذه الغرفة.

- وكيف كانت حاله وقتئذ؟ هل كان طبيعيا؟

- كان طبيعيا كعادته.

- هل كان يبدو على المدعوين شيء من مظاهر التوتر؟

- لا .. كل شيء كان يبدو طبيعيا.

- وماذا فعل السيد "**جرفيز**" بعد تناول الشاي؟

- انفرد بالسيد "**بوروز**" في غرفة المكتب كالعادة.

- كانت تلك آخر مرة رأيته فيها؟

- نعم، وقد ذهبت بعد ذلك إلى غرفتي، وكتبت على الآلة الكاتبة فصلا من الكتاب على ضوء المذكرات التي راجعتها مع السيد "**جرفيز**"، وقد استغرق ذلك مني حتى الساعة السابعة، ثم استرحت قليلا وشرعت في استبدال ثيابي استعدادا لتناول العشاء.

- قيل لي إنك سمعت صوت الطلق الناري؟

- نعم، كنت في هذه الغرفة عندما سمعت صوتا كالطلق الناري، فذهبت إلى قاعة الاستقبال، ووجدت هناك السيد "**ترانت**" والآنسة "**كاردويل**" فسأل السيد "**ترانت**" كبير الخدم عما إذا كانوا سيقدمون الشراب إلى المدعوين.. وقال في ذلك بعض النكات على سبيل الدعابة، ولم يأخذ أحدنا

الموضوع مأخذ الجد، وكان الرأي السائد أن الصوت الذي سمعناه هو صوت إحدى السيارات. فسألها "**بوارو**" :

– هل سمعت السيد "**ترانت**" يقول: « ثم هناك جرائم القتل»؟

– أعتقد أنه قال شيئًا بهذا المعنى. ولكنه كان يهزل طبعا.

– وماذا حدث بعد ذلك؟

– جئنا إلى هذه الغرفة.

– هل تذكرين ترتيب قدوم الزائرين قبل موعد العشاء؟

– أعتقد أن الآنسة "**روث**" كانت أول من قدم، ثم جاء السيد "**فوريس**"، والعميد "**بيري جور**"، وجاء السيد "**بوروز**" في أثرهم.. ذلك كان ترتيبهم. ولكني لست واثقة تماما؛ لأنهم جاءوا دفعة واحدة تقريبا.

– هل جاءوا تلبية للناقوس الأول؟

– نعم، لقد هرولوا عندما سمعوا صوت الناقوس، ولعل ذلك لأنهم يعرفون مبلغ صرامة السيد "**جرفيز**" في حرصه على موعد العشاء.

– ومتى اعتاد هو النزول إلى قاعة الطعام؟

– جرت العادة دائما أن يكون في قاعة الطعام قبل دق الناقوس الأول.

– وهل أدهشك أنه لم يفعل ذلك الليلة؟

– أدهشني ذلك كثيرا.. وهنا قال "**بوارو**" :

– آه! تذكرت. فنظر إليه "**ريدل**" والآنسة "**لنجارد**" متسائلين.. قال:

– تذكرت ما كنت أريد الاستفسار عنه.. حدث الليلة يا آنسة – حين سرنا إلى غرفة المكتب بعد أن أعلن "**ستيل**" أن بابها مغلق – أنك انحنيت والتقطت شيئًا من الأرض. فظهرت على وجه الآنسة "**لنجارد**" أمارات الدهشة الشديدة، وهتفت:

– هل فعلت ذلك؟

– نعم، إنك انحنيت قبيل أن ننحرف إلى الدهليز المؤدي إلى غرفة المكتب، والتقطت شيئًا صغيرا لامعا..

– ما أعجب هذا! إنني لا أذكر مطلقا .. ولكن صبرا لحظة.. آه! تذكرت الآن.. إنه هنا.. معي.. فتحت حقيبة يدها، وأفرغت محتوياتها على إحدى الموائد فرأى "**بوارو**" و"**ريدل**" منديلين صغيرين، وحزمة مفاتيح، وعلبة بودرة، ونظارة، وشيئا صغيرا اختطفه "**بوارو**" بسرعة. فهتف "**ريدل**" :

– يا إلهي .. رصاصة!!! وكان الشيء يشبه الرصاصة تماما، ولكنه كان في الواقع قلم رصاص. قالت الآنسة "**لنجارد**" :

– هذا هو الشيء الذي التقطته، وقد نسيته تماما.

– هل تعلمين لمن هذا القلم يا آنسة؟

– نعم، إنه قلم العميد "**بيري**"، وقد صنعه من غلاف رصاصة أصيب بها في حرب "**البوير**".

– هل تذكرين متى رأيت هذا القلم أخيراً؟

– نعم، رأيته معه بعد ظهر اليوم عندما كانوا يلعبون الورق، وقد لاحظت أنه كان يسجل به النقط التي فاز بها كل منهم.

– من هم؟

– العميد "**بيري**"، والسيدة "**جور**"، والسيد "**ترانت**"، والآنسة "**كاردويل**". فقال "**بوارو**" في رفق:

– أظن أنه يحسن بنا الاحتفاظ بهذا القلم؛ لكي نرده بأنفسنا إلى العميد "**بيري**". فقالت "**لنجارد**" :

– أرجو أن تفعل ذلك، فإنني سريعة النسيان، وقد لا أتذكره.

– هل تتفضلين يا آنسة باستدعاء العميد "**بيري**"؟

– سأبعث به إليكما فورا. خرجت مسرعة، ونهض "**بوارو**" وأخذ يمشي في الغرفة جيئة وذهابا، ثم قال:

– تكاد تتكون أمامنا صورة واضحة لما حدث بعد ظهر اليوم، ففي الساعة الثانية والنصف، قام السيد "**جرفيز**" بمراجعة بعض الحسابات مع الكابتن "**ليك**"، وكان يبدو عليه أنه مشغول البال قليلا، وفي الساعة الثالثة، اجتمع بالآنسة "**لنجارد**"؛ لمراجعة بعض مواد الكتاب، وكان مشغول البال جداً بسبب "**هيجو ترانت**" نتيجة لملاحظة عابرة، وعندما تناول الشاي كان سلوكه طبيعياً، وبعد تناول الشاي كان في حالة نفسية طيبة لسبب ما لم يعرفه السيد "**بوروز**" وفي الساعة الثامنة إلا خمس دقائق هبط إلى مكتبه، وكتب كلمة "متأسف" على قصاصة من الورق، ثم أطلق الرصاص على نفسه. فقال "**ريدل**" ببطء:

– فهمت ماذا تعني.. تريد أن تقول إنه لا يوجد توافق، أو انسجام بين هذه المعلومات.

– لقد مر السيد "**جرفيز جور**"، على ضوء أقوال الشهود بطائفة عجيبة من الحالات، فهو تارة مشغول البال قليلا، وتارة أخرى مشغول البال كثيرا، ثم في حالة طبيعية.. ثم في حالة حسنة جداً.. لا توافق ولا انسجام.. ولا منطق.. ثم هناك عبارة «بعد فوات الوقت» التي قالها لمناسبة قدومي، لقد صدق؛ فقد جئت بعد فوات الوقت، ولم أره على قيد الحياة.

– هل تعتقد حقًّا.. فقاطعه "**بوارو**" قائلاً:

– من المحقق أنني لا أعلم أبدا الأسباب التي حملت السيد "**جرفيز جور**"

على استدعائي. واستمر "**بوارو**" في طوافه بالغرفة، فأعاد ترتيب بعض التحف على الموقد، وفحص المائدة الخاصة بلعب الورق، وفتح أحد الأدراج، وتأمل إحدى موائد الكتابة، وأطل في سلة المهملات، وتناول منها حقيبة من الورق رفعها إلى أنفه وغمغم قائلا: "برتقال"، ثم بسطها بين يديه، وقرأ عليها اسم المتجر "**كاربنتر وولده**"، تجار فاكهة، شارع "**سانت ماري**" - "**هامبورد**" ثم طواها بعناية.. وفي هذه اللحظة، دخل العميد "**بيري**".

- 7 -

الأب والابنة

تهالك العميد على أحد المقاعد وقال وهو يهز رأسه:

- يا له من حادث مخيف! الحق أن السيدة "**جور**" سيدة عجيبة لقد أبدت شجاعة منقطعة النظير. فسأله "**بوارو**":

- هل كنت تعرفها منذ وقت طويل؟

- نعم، وقد رأيتها يوم رقصت لأول مرة. كانت تضع في شعرها وردة حمراء، ولم يكن بين السيدات من هي أجمل منها. كان يتكلم بحماسة شديدة، فقدم إليه "**بوارو**" قلم الرصاص وهو يقول:

- هذا قلمك فيما أعتقد.

- آه! نعم.. شكرا لك، لقد فقدته بعد ظهر اليوم.

- أعتقد أنك لعبت الورق قبيل موعد تناول الشاي.. كيف كانت حالة السيد "**جرفيز**" النفسية في أثناء تناول الشاي؟

- كان في حالته الطبيعية المألوفة، ولم أتصور قط أنه يفكر في الانتحار.

– ومتى رأيته آخر مرة؟

– عندما تناولنا الشاي، ولم أر المسكين على قيد الحياة بعد ذلك.

– ألم تذهب إلى غرفة المكتب بعد الشاي؟

– نعم.. لم أذهب.

– متى قصدت إلى قاعة الطعام؟

– بعد الناقوس الأول مباشرة.

– هل كنت مع السيدة "**جور**"؟

– لا.. إننا التقينا في قاعة الاستقبال.. وأعتقد أنها كانت قبل ذلك في قاعة الطعام؛ لتفقد الأزهار.. فقال العقيد "**ريدل**":

– اسمح لي بأن أسألك عن أمر شخصي يا عميد "**بيري**".. هل قام بينك وبين السيد "**جرفيز**" أي خلاف بشأن شركة "المطاط الصناعي"؟ فاحمرَّ وجه العميد فجأة، وقال بلسان متلعثم:

– لا.. لا.. الواقع أن السيد "**جزفيز**" كان رجلا غير معقول.. كان يعتقد أن كل شيء يلمسه بيده يجب أن يتحول فورا إلى ذهب، ولم يتصور قط أن العالم كله يمر بأزمة اقتصادية تركت أثرها السيئ في أسعار جميع الأسهم، والسندات المالية.

– إذن فقد قام بينك وبينه خلاف؟

– بسبب وجهات نظره غير المعقولة.

– هل حملك تبعات الخسائر التي تكبدها؟

– قلت لك إنه لم يكن رجلا عاديا، و"**فاندا**" تعلم ذلك، ولكنها كانت تعرف كيف تعامله، ولذلك وضعت الأمر كله بين يديها. وهنا سعل "**بوارو**" فنظر إليه "**ريدل**" من ركن عينه، وغيرَّ الموضوع.

– قيل لي إنك صديق قديم للأسرة يا عميد "**بيري**" فهل تعلم كيف وزع السيد "**جرفيز**" تركته؟

– أعتقد أنه ترك معظمها لابنته "**روث**" .. ذلك ما فهمته من بعض أقواله.

– ألم يكن في ذلك غبن للسيد "**هيجو ترانت**"؟

– إن "**جرفيز**" لم يكن يحب "**هيجو**".

– لكنه كان يقدس أسرته.. وكان يعلم أن "**هيجو**" من صميم الأسرة، بينما "**روث**" ليست إلا ابنته بالتبني. فتردد العميد لحظة، ثم قال:

– أصغ إليّ: هناك شيء يجب أن أصارحك به، فيما بيننا.

– أكيد.. أكيد.

– إن "**روث**" تنتمي إلى أسرة "**جور**" فعلا، ولكنها ابنة غير شرعية لـ"**أنتوني جور**" شقيق السيد "**جرفيز**" الذي قُتل في الحرب، ويبدو أنه كانت لـ"**أنتوني**" صلة بفتاة تعمل في أحد المكاتب، فلما قتل في الحرب كتبت الفتاة إلى "**فاندا**" فذهبت هذه لزيارتها ووجدتها حاملا. ولما كانت "**فاندا**" تعلم أنها لن تلد فقد تحدثت إلى "**جرفيز**" في الأمر، واتفقا على تبني المولود.. وتم ذلك فعلا، وتنازلت الأم عن كافة حقوقها في ابنتها، وهكذا نشأت "**روث**" بين "**جرفيز**" و"**فاندا**" كما لو كانت ابنتهما، وبحسبك أن تنظر إلى قسمات وجه الفتاة لتدرك أنها من آل "**جور**" فعلا. فهتف "**بوارو**":

– آه! ذلك يوضح سلوك السيد "**جرفيز جور**" تماما، ولكن إذا كان السيد "**جرفيز**" يمقت "**هيجو**" فلماذا أصر على ضرورة زواجه بـ"**روث**"؟

– لتقويم الأمور، وتصفية مركز الأسرة، إنه كان مولعا بوضع الأمور في مواضعها.

– حتى ولو كان يمقت الشاب أو لا يثق به؟

– إنك لا تعرف "**جرفيز**" .. لقد تعود ألا ينظر إلى الناس كآدميين، وكان ينظم شؤون الزواج في أسرته كما يفعل الملوك، ويضع نصب عينيه مصلحة الأسرة قبل مصلحة الأفراد، وقد رأى أن "**هيجو**" يصلح زوجا لـ"**روث**"، وأنه يجب أن يحمل اسم أسرة "**جور**"، أما ما يراه "**هيجو**" و"**روث**" فذلك لا أهمية له.

– وهل كانت الآنسة "**روث**" على استعداد للنزول على رغبته؟ فأجاب العميد وهو يضحك:

– "**روث**"؟ إنها ليست الفتاة التي تسمح لكائن من كان أن يتحكم في مستقبلها.

– هل تعلم أن السيد "**جرفيز جور**" كان يتهيأ قبيل موته لوضع وصية جديدة يحرم بها "**روث**" من الميراث ما لم تقترن بـ"**هيجو ترانت**؟ فصفر "**بيري**" بشفتيه وهتف:

– إذن لابد أن يكون قد علم بما بينها وبين "**بورروز**" .. ويبدو أنه ندم فورا على ما قال، فعض شفته.. ولكن "**بوارو**" لم يترك له فرصة للندم أو التفكير وسأله:

– وماذا بين "**روث**" و"**بورروز**"؟

– قد لا يكون بينهما شيء.. ربما كنت مخطئا. فقال "**ريدل**":

– أظن يا عميد "**بيري**" أن من واجبك أن تدلي إلينا بكل ما تعلم؛ فقد تلقي معلوماتك شيئا من الضوء على الأسباب التي عجلت بموت السيد "**جرفيز**". فقال العميد:

– الواقع أن "**بورروز**" شاب وسيم، أو هذا على الأقل هو رأي النساء فيه.. ويبدو أنه كان يخرج مع "**روث**" سرا فلم يرق ذلك للسيد

"**جرفيز**" ، ولم يشأ "**جرفيز**" أن يطرد "**بورروز**" حتى لا يعجل بالأزمة؛ ذلك لأنه كان يعرف "**روث**" ، ويعلم أنها ليست من الطراز الذي يخضع لإرادة الآخرين.. ومن المحقق أنه فكر في هذه الخطة؛ لأن "**روث**" ليست من النساء اللاتي يضحين بكل شيء من أجل الحب، إنها فتاة عصرية تحب الحياة الرغدة، وتحب المال.

– وأنت شخصيا، هل توافق على السيد "**بورروز**" كزوج للآنسة "**روث**" ؟

– أعتقد أنه شاب رضي الخلق. وبعد طائفة من الأسئلة والأجوبة، انصرف العميد "**بيري**" ، ونظر "**ريدل**" إلى "**بوارو**" ، الذي كان مستغرقا في التفكير وسأله :

– ما رأيك في كل ذلك يا سيد "**بوارو**" ؟

– أرى أن الأمور تزداد تعقيدا، ولكن هناك عبارة مازالت ترن في أذني.

– ما هي؟

– هي قول "**ترانت**" : « توجد دائمًا جرائم قتل». فقال "**ريدل**" بحدة :

– لقد لاحظت أنك تريد أن تجعل من هذه العبارة حجر الزاوية في التحقيق.

– ألا ترى يا صديقي أنه كلما زادت معلوماتك انتفت الأسباب التي تبرر الانتحار، وظهرت العوامل التي تؤيد احتمال وقوع جريمة قتل؟

– لا تنس الحقائق المادية الملموسة.. الباب المغلق، والمفتاح في جيب الرجل الميت..

– على كل حال، دعنا نعالج الأمر على أنه جريمة قتل لا حادث انتحار.. لقد سمع صوت الطلق الناري، وكان هناك أربعة أشخاص في قاعة الاستقبال هم: الآنسة "**لنجارد**" ، و"**هيجو ترانت**" ، والآنسة

"**كاردويل**"، و"**ستيل**"، فأين كان الباقون؟ يقول "**بوروز**" إنه كان في المكتبة، وليس هناك من يؤيد أقواله، أما الآخرون فيبدو أنهم كانوا في غرفهم.. ولكن كيف نعرف أنهم كانوا هناك حقًّا؟ كل منهم يقول إنه ذهب إلى قاعة الطعام بمفرده، حتى السيدة "**جور**" والعميد "**بيري**" لم يلتقيا حيث كانت تتفقد الأزهار. ولكن "**بيري**" من أين جاء؟ ألا يمكن أن يكون قد جاء من غرفة المكتب؟ ثم هناك قلم الرصاص.. إن العميد "**بيري**" لم يتأثر عندما أبرزت له القلم، وقد وجد هذا القلم في الطريق إلى غرفة المكتب حيث وقعت الجريمة، ثم من هم أولئك الذين كانوا يلعبون الورق حينما كان العميد "**بيري**" يستخدم القلم في تسجيل النقط؟ "**هيجو ترانت**"، والآنسة "**كاردويل**"، والعميد "**بيري**"، والسيدة "**جور**"، أما "**هيجو**"والآنسة "**كاردويل**" فقد رآهما "**ستيل**"، والآنسة "**لنجارد**" في قاعة الاستقبال فلا شك إذن في أمرهما.. بقيت السيدة "**جور**"..

– يا إلهي!! هل يمكن أن ترتاب في السيدة "**جور**"؟

– ولم لا؟ إنني أرتاب في كل إنسان، هب أن السيدة – على الرغم من مظاهر إخلاصها لزوجها – كانت تحب العميد "**بيري**" حبا عميقا، استطاعت إخفاءه طيلة هذه السنين.. ثم لا تنسَ الخلاف بين "**جرفيز**" والعميد "**بيري**" بشأن شركة المطاط الصناعي.. لقد كانت لهما كل المصلحة في اختفاء "**جرفيز**" كما ترى. فقال "**ريدل**":

– ربما كنت على حق، ومن المحتمل أن يكون "**جرفيز**" قد قرر آخر الأمر فضح عشيق زوجته فأرسل في طلبك لهذا الغرض، ولا يبعد أن يكون "**بيري**" قد ابتز أموال "**جرفيز**" عن طريق شركة "المطاط" التي يديرها، وأن

يكون هذا الأخير قد اكتشف ذلك، ولكنه لم يشأ أن يثير الأمر علانية؛ لاعتقاده بأن لزوجته ضلعا فيه، ولذلك استدعاك.. يضاف إلى ذلك أنه كان من بواعث الدهشة والشك أن تتلقى السيدة "**جور**" نبأ موت زوجها بذلك الهدوء العجيب. فقال "**بوارو**":

– ثم هناك مشكلة أخرى.. هي مشكلة "**روث**" و"**بوروز**".. لقد كان من مصلحة هذين العاشقين ألا يكتب السيد "**جرفيز**" وصيته الجديدة؛ لأن الوصية القديمة تمنحها كل شيء، ولا تشترط إلا أن يحمل زوجها اسم الأسرة.

– هذا صحيح.. لقد كان حديث "**بوروز**" عن السيد "**جرفيز**" الليلة ينطوي على الخبث والخداع؛ فقد زعم أنه كان في حالة نفسية طيبة لأمر ما لا يعرفه، وهذا الوصف يتعارض مع أقوال الشهود الآخرين جميعا.

– ثم هناك السيد "**فوريس**"، صحيح أنه رجل رزين صارم، ويعمل في مؤسسة قضائية عريقة، ولكن كم سمعنا عن محامين وقعوا في ضيق مالي فابتزوا أموال موكليهم!

– إنك تعيش في عالم من الخيال والشك يا سيد "**بوارو**".

– هل تريد أن تقول إنني أتصور أشياء لا وجود لها إلا في الأفلام السينمائية، ولكن ما أشبه الحياة بالأفلام السينمائية يا صديقي!!

– إنها لم تكن كذلك قط في هذه المنطقة الريفية، ومن الأفضل أن نفرغ من استجواب بقية المدعوين.. إننا لم نستجوب الآنسة "**روث**" بعد، على الرغم من أنها – فيما يبدو لي – أهمهم جميعا.

– هذا صحيح.. وهناك الآنسة "**كاردويل**" أيضا، والرأي عندي أن نبدأ بها؛ لأنها لن تستغرق منا وقتا طويلا.

– على رسلك. لم يكن "**بوارو**" قد ألقى على "**سوزان كاردويل**" خلال السهرة سوى نظرة عابرة، ولكنه استطاع الآن أن يتأملها عن كثب فألفاها متوسطة الجمال، ولكنها مرحة، جذابة، ولها شعر جميل، وعينان ساحرتان تنم نظراتهما عن الذكاء واليقظة. قال لها "**ريدل**" :

– إنني لا أعلم بالتحديد مبلغ صلتك بأسرة "**جور**" يا آنسة "**كاردويل**" .

فأجابت الفتاة:

– إنني لا أعرفهم جميعا، وقد جئت بدعوة من "**هيجو ترانت**" .

– هل أنت صديقة السيد "**هيجو ترانت**"؟

– نعم.

– هل تعرفينه منذ وقت طويل؟

– منذ شهر أو نحو ذلك. وصمتت لحظة، ثم استطردت:

– إنني شبه مخطوبة له.

– وهل جاء بك إلى هنا ليقدمك إلى ذويه؟

– لا.. لا.. فقد حرصنا طول الوقت على كتمان الأمر، وقال لي "**هيجو**" إن هذا البيت أشبه بمستشفى الأمراض العقلية فأردت أن أتحقق بنفسي.. والواقع أن "**هيجو**" شاب لطيف، ولكنه على شيء من الغباء.. إنني لا أملك مالا، وكذلك "**هيجو**"، وقد كان "**هيجو**" يضع كل آماله في السيد "**جرفيز**"، ولكن هذا يصر على تزويجه بـ"**روث**"، ولما كان "**هيجو**" ضعيف الإرادة إلى حد ما فقد خشيت أن يستسلم وينصاع اعتماداً على أنه يستطيع فصم عرى الزواج فيما بعد. فسألها "**بوارو**" في رفق:

– وهل تقرينه على الرأي؟

– لا... ثم إن "**روث**" قد ترفض الطلاق، ولكن "**هيجو**" لا يريد أن

يصدق ذلك.

– لذلك قررت أن تستطلعي الأمر بنفسك...

– نعم، وقد وجدت أن "**هيجو**" كان على حق؛ فالأسرة كلها مجموعة مجانين فيما عدا "**روث**" فهي فتاة ذكية تعرف أهدافها ولها صديقها الذي تصر على الاقتران به، أما فكرة الزواج بـ"**هيجو**" فإنها ترفضها رفضا باتا.

– من صديقها؟ السيد "**بورروز**"؟

– السيد "**بورروز**"؟ لا.. إنها أعقل من أن تربط حياتها بحياة رجل تافه كهذا.

– إذن من صديقها؟ أشعلت الفتاة لفافة تبغ وأجابت:

– الأفضل أن تسألها هي.

– متى رأيت السيد "**جرفيز**" آخر مرة؟

– في أثناء تناول الشاي.

– هل لاحظت عليه شيئًا يغاير المألوف؟ هزت الفتاة كتفيها، وأجابت:

– لا.. كان كالعهد به دائما.

– ماذا فعلت بعد تناول الشاي؟

– لعبت البلياردو مع "**هيجو**".

– ألم تري السيد "**جرفيز**" مرة أخرى؟

– نعم.. لم أره.

– ماذا تعرفين عن الطلق الناري؟

– عندما دق الناقوس أول مرة أسرعت إلى ارتداء ثيابي؛ فقد حدث مرة في الأسبوع الماضي أن تأخرت دقيقة واحدة عن موعد العشاء، فقال لي "**هيجو**"

إن ذلك قــد يؤدي إلى طردنا، ولذلك هبطت السلم مــهــرولة، ووجــدت "**هيجو**" أمامي، وسمعنا دويا فقال "**هيجو**" إنه صوت انطلاق غطاء زجاجة ما، فنفى "**ستيل**" ذلك، أما أنا فقد خُيِّل إليَّ أن الصوت لم يصدر من قاعة الطعام، وخُيِّل إلى الآنسة "**لنجارد**" أنه صدر من الطابق الأول، ولكننا اتفقنا على أنه صادر من إحدى السيارات، ثم سرنا معا إلى قاعة الاستقبال ونسينا الموضوع. فسألها "**بوارو**" :

– ألم يخطر ببالك في ذلك الوقت أن يكون السيد "**جرفيز**" قد أطلق الرصاص على نفسه؟

– كيف كان يمكن أن يخطر لي شيء كهذا؟ لقد كان الرجل معتزا بنفسه ولم أتصور قط أنه يمكن أن يقدم على الانتحار، بل ولا أكاد أجد سببا لانتحاره.

– إنه حادث يؤسف له.

– يؤسف له جداً بالنسبة إليّ وإلى "**هيجو**"، وقد علمت أنه لم يترك لـ"**هيجو**" شيئًا يذكر.

– ومن قال لك ذلك؟

– "**هيجو**" نقلا عن "**فوريس**". فقال "**ريدل**" :

– أصغي إليّ يا آنسة "**كاردويل**".. ثم صمت لحظة واستطرد:

– أظن أن هذا يكفي.. هل تعتقدين أن الآنسة "**روث**" في حالة تسمح لها بالتحدث إلينا؟

– أظن ذلك.. وسأنبئها. فقال "**بوارو**" :

– صبرا لحظة يا آنسة.. هل رأيت هذا قبل الآن؟ وقدم إليها قلم الرصاص فأجابت:

– نعم، رأيته ونحن نلعب الورق بعد ظهر اليوم، أعتقد أنه قلم العميد "**بيري**" .

– شكرا لك يا آنسة، هذا كل ما هنالك. دخلت "**روث**" الغرفة كأنها ملكة.. كانت منتصبة القامة، مرفوعة الرأس، تنظر حولها في يقظة وحذر، وكانت ترتدي نفس الثوب الذي رآه "**بوارو**" عند قدومه، فقدم إليها "**ريدل**" مقعدا وهو يقول:

– معذرة على إزعاجك يا آنسة.. الواقع أن.. فقاطعته:

– لك أن تزعجني وتزعج أي إنسان آخر للوصول إلى الحقيقة، الواقع أنني لا أدري لماذا قتل العجوز نفسه... كل ما أستطيع أن أقوله لك.. هو أن هذا آخر ما كان ينتظر منه.

– هل لاحظت اليوم أي تغيير في حالته؟ هل كان مهموما أو حزينا؟

– لا.

– متى رأيته آخر مرة؟

– في وقت الشاي. فسألها "**بوارو**" :

– ألم تذهبي إلى غرفة المكتب أخيراً؟

– نعم.. لم يحدث، إنني رأيته آخر مرة في هذه الغرفة.. كان جالسا هناك. وأشارت إلى أحد المقاعد.

– هل تعرفين هذا القلم يا آنسة؟

– نعم، إنه قلم العميد "**بيري**" .

– هل رأيته أخيراً؟

– لا أذكر.

– هل كان هناك خلاف بين العميد "**بيري**" والسيد "**جرفيز جور**" ؟

– تعني بشأن شركة "المطاط" ؟

– نعم.

– أظن أنه كان هناك خلاف بينهما، وأن العجوز كان مستاء.

– هل كان يعتقد أن العميد خدعه؟

فهزت الفتاة كتفيها وأجابت:

– إنه لم يكن يعرف أوليات المسائل المالية.

– هل لي أن ألقي عليك سؤالا يا آنسة.. سؤالا شاذا إلى حد ما؟

– سل ما شئت.

– هل حزنت لوفاة أبيك؟

فحملقت إلى وجهه لحظة ثم أجابت:

– بالتأكيد حزنت لوفاته، وسأفتقده، لقد كنت أحبه على الرغم من أنه كان بدائيا بكل معنى الكلمة. كان أكبر حمار عجوز عنيد رأيته طول حياتي.. ولكنه كان ذا قلب من ذهب.

– هذا كلام طريف جدًا يا آنسة.

– ويؤسفني أن أقول لك إنه كان مجردا من العقل، وعاطلا من التفكير، ويستطيع أي مغفل أن يخدعه، ولكنه كان إلى جانب ذلك شجاعا جريئا، مخلصا. فأخرج "بوارو" الرسالة من جيبه، وقال لها:

– اقرئي هذه الرسالة يا آنسة. فقرأتها. وردتها إليه وهي تقول:

– ذلك سبب قدومك إذن؟ قلت لك إنه كان مغفلا، وقد كان في استطاعة أي إنسان أن يسرقه ويحتال عليه، وقد قيل لي إن وكيل أعماله السابق اختلس منه أموالا طائلة؛ ذلك لأنه كان مغرورا، وكان صلفه يمنعه من بحث التفصيلات الدقيقة.

– إنك ترسمين له صورة تختلف كثيرا عن صورته المألوفة.

– إنه كان خدعة كبرى.. وكانت "**فاندا**" أمي تغذي غروره بطاعتها العمياء ونزولها على إرادته.. كان يعتبر نفسه إلها.. وقد سرني أنه مات.. فذلك أفضل له.

– ماذا تعنين؟

– أعني أن غروره وجنونه تفاقما في المدة الأخيرة، وكان من المتوقع في أية لحظة أن ينتهي إلى مستشفى الأمراض العقلية.

– هل تعلمين يا آنسة أنه كان يعتزم كتابة وصية جديدة يترك لك فيها كل أمواله بشرط أن تقترني بالسيد "**ترانت**"؟ فصاحت:

– يا للحماقة! ومع ذلك فليس أيسر من الالتجاء إلى القضاء؛ لإلغاء مثل هذا الشرط المجحف.. أنا واثقة بأن القانون لا يجيز لإنسان أن يتحكم في زواج إنسان آخر.

– على فرض أنه كتب هذه الوصية الجديدة، فهل كنت تنزلين على إرادته؟ فحملقت إلى وجهه وغمغمت:

– أنا.. أنا.. ووضعت رأسها بين كفيها وبقيت كذلك لحظة تفكر ولا تتكلم، ثم رفعت رأسها فجأة وقالت:

– صبرا.. وغادرت الغرفة مسرعة، وعادت بعد قليل ومعها الكابتن "**ليك**". قالت وهي تلهث:

– لابد مما ليس منه بد، هناك أمور لا يمكن إخفاؤها إلى الأبد، وقد يكون من الخير أن تعرف كل شيء الآن.. اعلم إذن أنني والكابتن "**جون ليك**" قد عقدنا زواجنا في "**لندن**" منذ ثلاثة أسابيع. وكان الكابتن "**ليك**" أكثر الاثنين خجلا ودهشة. قال العقيد "**ريدل**":

– الحق أن هذه مفاجأة كبرى يا سيدتي.. ألا يعلم أحد بأمر هذا الزواج؟

– نعم. لقد كتمنا السر جيدا.. ولم يكن في نية "**جون**" إذاعته في الوقت الحاضر على الأقل. وقال الكابتن "**ليك**" متلعثماً:

– أنا.. أنا أعلم أن هذه ليست الطريقة المثلى لحسم الأمور.. وأنه كان يجب عليّ أن أذهب إلى السيد "**جرفيز**" مباشرة و.. فقاطعته "**روث**":

– وتقول له إنك تريد الزواج بابنته، لكي يركلك بقدمه، ويطردك خارج البيت، وقد يحرمني من ثروته.. صدقني يا "**جون**".. إن طريقتي كانت أفضل.. فسألها "**بوارو**":

– ومتى كان في نيتكما أن تبلغا النبأ للسيد "**جرفيز**"؟

– كنت بسبيل التمهيد لذلك، وأعتقد أنه كان يرتاب في الأمر، ولذلك تظاهرت بمغازلة "**بوروز**". حتى إذا علم بزواجي بـ "**جون**"، وقع عليه النبأ وقعا حسنا، وطبيعي أن "**جون**" أفضل عنده كثيرا من "**بوروز**".

– هل علم أحد بهذا الزواج؟

– لقد أنبأت به "**فاندا**"؛ لكي تقف إلى جانبي.

– وهل استطعت اكتسابها؟

– نعم؛ لأنها لا تقر زواجي بـ"**هيجو ترانت**"، لسبب صغير هو أنه ابن عمتي، والزواج بين الأقارب يضعف النسل وحسب الأسرة ما تعانيه من خبل رجالها فعلا.. وأعتقد أنها قد غفلت عن أمر جوهري، هو أنني لست في الواقع ابنة خال "**ترانت**" فإن السيد "**جرفيز**" هو والدي بالتبني فقط..!

– هل أنت واثقة بأن السيد "**جرفيز**" لم يرتب في الأمر؟

– نعم. فقال "**بوارو**" محدثا الكابتن "**ليك**":

– ألم يثر السيد "**جرفيز**" هذا الموضوع في حديثه إليك بعد ظهر اليوم؟

– نعم.. لم يحدث.

– لقد ألقيت عليك هذا السؤال؛ لأن جميع الشهود قد أجمعوا على أن السيد "**جرفيز**" كان بادي القلق والاضطراب عقب اجتماعه بك، وأنه تحدث مرة أو مرتين عن عار أصاب الأسرة.

– أؤكد لك أننا لم نعرض لهذا الموضوع.

– أين كنت في الساعة الثامنة وثماني دقائق هذا المساء؟

– أين كنت؟ في بيتي بالقرية، على بعد نصف ميل من هنا.

– وأين كنت أنت يا آنسة عندما أطلق أبوك الرصاص على نفسه؟

– كنت في الحديقة.

–وهل سمعت صوت الطلق الناري؟

– نعم، ولكني لم أعلق عليه أهمية، وظننت أن بعضهم يصطاد الأرانب في الغابة.

– أي طريق سلكت في عودتك إلى البيت؟

– إنني دخلت من هذا الباب .

وأشارت إلى باب خلفها يؤدي إلى الحديقة .

– هل رآك أحد هنا ؟

– لا .. ولكن "**هيجو**" و"**سوزان**" والآنسة "**لنجارد**" جاءوا على الأثر من قاعة الاستقبال، وكانوا يتحدثون عن الصيد وإطلاق الرصاص وجرائم القتل وغير ذلك .

فقال "**ريدل**" :

– شكرا لك يا آنسة .. هذا يكفي الآن .

انصرفت "**روث**" . وهتف "**ريدل**" قائلا :

– يا للشيطان ! إن الأمور تزداد تعقيدا .

فقال "**بوارو**" وهو ينهض واقفا :

– أصغ إليّ يا صديقي . . إن السر كله في المرآة . . وإذا لم تصدقني فاذهب إلى غرفة المكتب ، وأغلق بابها ، وفكر .

– إذا كانت هناك جريمة قتل فعليك أن تثبتها ، أنا أعتقد أن الحادث انتحار هل سمعت ما قالته الفتاة عن الوكيل السابق ، وكيف سرق أموال السيد "**جرفيز**" ؟ أؤكد لك أن الكابتن "**ليك**" هو الذي قال لها ذلك لخدمة أغراضه الخاصة . ومن المحتمل أن يكون السيد "**جرفيز**" قد شعر بوجود علاقة بين "**ليك**" والفتاة ، ولكنه كان في حاجة إلى دليل ولذلك أرسل في طلبك، ثم حدث اليوم أن أنبأه "**ليك**" بأمر الزواج فانهار الرجل وأدرك أنك ستأتي « بعد فوات الوقت » وقرر التخلص من متاعبه ، فزين له عقله الضعيف أن ينتحر. ذلك – فيما أعتقد – هو ما حدث ، فهل لديك ما تقوله ؟

فأجاب "**بوارو**" :

– ليس عندي ما أدحض به نظريتك ، ولكني ألاحظ أنك أغفلت أشياء كثيرة.

– مثل ؟

– مثل حالة "**جرفيز**" النفسية كما وصفها الشهود،وقلم الرصاص ، وترتيب وصول المدعوين إلى قاعة الطعام ، ووضع المقعد الذي وجدت عليه جثة السيد "**جرفيز**" ، وكيس الورق الذي كان به البرتقال، وأخيرا – وهو الأهم – المرآة المحطمة .

- 8 -

آثار أقدام

استيقظ "**بوارو**" مبكرا في صباح اليوم التالي ، وكان القوم قد أفسحوا له غرفة في الجناح الشرقي من القصر ، ففتح النافذة وأطل منها ، وتنفس الصعداء حين وضح له أن الجو سيكون صحوا .. ثم ارتدى ثيابه على عجل، وغادر غرفته وهو يسير على أصابع قدميه حتى وصل إلى قاعة الاستقبال، ففتح نافذتها في هدوء ، ووثب منها إلى الحديقة ..

وكانت الشمس قد بزغت ، فدار "**بوارو**" حول القصر حتى وصل إلى نافذة غرفة مكتب السيد "**جرفيز**" ، فتأملها مليا وفحص حقول الزهر والأعشاب القريبة منها ، وهز رأسه ببطء ..

لقد رأى في أحد هذه الحقول آثار أقدام .. وبينما كان يفحص هذه الآثار بعناية شديدة إذا به يسمع صوت نافذة تفتح في الطابق الثاني ، ثم رأى رأسا أحمر يطل من النافذة، وسمع صوت "**سوزان كاردويل**" وهي تهتف به :

– ماذا تفعل في مثل هذه الساعة يا سيد "**بوارو**" ؟ هل تقوم بعمل من أعمال البوليس ؟

فأجاب وهو يحني قامته في أدب واحترام :

– طاب صباحك يا آنسة .. نعم ، إنني أقوم بعمل من أعمال البوليس ، وقد تهيأت لك الآن فرصة مشاهدة بوليس سري عظيم يمارس عمله .

– سوف أسجل ذلك في مذكراتي ، هل أستطيع معاونتك ؟

– يسعدني أن تفعلي .

– ظننت في البداية أنك لص .. من أين خرجت ؟

– من نافذة قاعة الاستقبال .

– صبرا .. سألحق بك بعد لحظة .

ولحقت به على الفور فقال لها :

– إنك تبكرين في النهوض يا آنسة .

– الواقع أنني لم أنعم بالنوم جيدا هذه الليلة ، ولم أستطع البقاء في الفراش بعد الساعة الخامسة .. ولكن عن أي شيء تبحث ؟

– إنني أتأمل هذه الآثار ..

– آثار أقدام .. ؟

– نعم أربع أقدام ، قدمان في اتجاه النافذة ، وقدمان في الاتجاه المضاد...

– لعلها آثار أقدام البستاني ..

– كلا يا آنسة .. هذه أقدام صغيرة ، تنتعل حذاء سيدة ، وللحذاء كعب مرتفع دقيق .. انظري بنفسك إلى الأثر الذي تركه حذاؤك ؟ لقد ترك حذاؤك أثرا مماثلا . ولكنه أقصر من الأثر الآخر .. إن لصاحبة هذا الأثر حذاء أطول من حذائك ، لعلها تكون الآنسة "**روث**" ، أو الآنسة "**لنجارد**" ، أو السيدة "**جور**" ..

– إن حذاء السيدة "**جور**" صغير جدًّا ، أما الآنسة "**لنجارد**" فإنها تلبس حذاء مسطحا ..

– إذن فهذه آثار حذاء الآنسة "**روث**" .. آه ! تذكرت الآن ، لقد قالت أمس إنها كانت في الحديقة .

ودار مع الفتاة حول البيت وقال :

– لنذهب الآن إلى غرفة المكتب .

مشى في المقدمة ، وتبعته الفتاة ، وكان باب الغرفة كما تركه بالأمس ، فأزاح "**بوارو**" الستار عن النافذة ليسمح للضوء بالدخول .. وقال محدثا الفتاة :

– هل اتصلت بأحد اللصوص يوما ما يا آنسة ؟

– لا .

– كذلك العقيد "**ريدل**" ، إنه لم يعرف اللصوص إلا عن طريق الاتصالات الرسمية ، أما أنا فقد دار بيني وبين أحد اللصوص ذات مرة حديث طويل كشف لي فيه عن حقائق كثيرة كنت أجهلها ، وقد ذكر لي فيما ذكر طريقته في غلق النافذة الخشبية من الخارج .

قال ذلك وفتح النافذة الخشبية ، ثم أغلق نصفها حيث يوجد المزلاج ، ثم دقها من الخارج بشدة ، فسقط المزلاج في مكانه ، وبدا كأنه أغلق من الداخل.. وهتف "**بوارو**" قائلا :

– أرأيت ؟ إن النافذة مغلقة الآن ، ويستحيل على أي إنسان أن يعتقد أنها أغلقت من الخارج .

فقالت الفتاة وهي ترتجف :

– هل هذا .. هل هذا ما حدث أمس ؟

– أظن ذلك .

– أنا لا أصدق ..

فتحوّل إليها "**بوارو**" بحدة وقال :

– إنك ستكونين شاهدتي يا آنسة، ولديّ شاهد آخر هو السيد "**ترانت**" ، الذى رآني أمس ألتقط قطعة من زجاج المرآة .. ولقد تركت تلك القطعة في مكانها؛ ليسترشد بها البوليس ، بل لقد قلت لمفتش

البوليس إنه سيجد في المرآة المكسورة دلالة لها أهميتها ، ولكنه لم يعرني التفاتا ، وهأنذا أضع القطعة المفضضة التي سقطت من المرآة المكسورة في غلاف صغير هكذا ..

قال هذا وقرن القول بالعمل ، ثم قال :

– إنني سأستشهد بك يا آنسة .

– نعم .. ولكنني .. لا أفهم ماذا تعني ..

فمشى "**بوارو**" إلى الجانب الآخر من الغرفة ، ووقف أمام المكتب ونظر إلى المرآة المحطمة وقال :

– سأوضح لك ما أعني .. لو أنك وقفت هنا ليلة أمس ونظرت في المرآة ، لرأيت فيها جريمة قتل ..

◆◆◆◆◆

بكرت "**روث**" في النهوض لأول مرة في حياتها ، وهبطت إلى قاعة الطعام لتتناول فطورها ، وكان "**بوارو**" ينتظرها في البهو ، فانتحى بها جانبا قبل أن تدخل غرفة الطعام وقال لها :

– أريد أن أسألك شيئا يا سيدتي .. ذكرت أمس أنك كنت في الحديقة ، فهل وطئت حقول الزهر أمام المكتب ؟

– نعم .. مرتين .. الأولى لكي أقتطف بعض الأزهار وذلك في نحو الساعة السابعة ..

– وهل هذا وقت مناسب لقطف الأزهار ؟

– لا .. ولكن "**فاندا**" تفقدت الأزهار في قاعة الطعام فلم تعجبها ، وطلبت إليّ استبدالها ..

– والمرة الثانية . .

– والمرة الثانية قبيل العشاء ، وكان ثوبي قد تلوث بالقرب من الكتف ببقعة من الدهن ، ولم أشأ استبداله . . وفكرت في حجب البقعة بزهرة اقتطفتها من الحديقة .

– ومتى فعلت ذلك ؟

– لا أذكر بالتحديد . . ولكن صبرا . . كانت الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة تقريبا؛ لأني لم أكد أدور حول البيت حتى سمعت صوت الناقوس الأول ، ثم صوت الطلق الناري .

– ألم يخطر ببالك وأنت في حقل الزهر أن تحاولي الدخول من الباب الموصل بين الحديقة وغرفة المكتب ؟

– بلى، الواقع أنني فكرت في ذلك ، ولكني وجدت الباب مغلقا .

– شكرا لك يا آنسة . . . هذا يوضح كل شيء .

– ماذا تعني ؟

وقبل أن يتمكن "**بوارو**" من الإجابة ، أقبلت الآنسة "**لنجارد**" مهرولة ، وقد اصطبغت وجنتاها بحمرة عجيبة ، وبدت عليها دلائل الدهشة حين رأت "**بوارو**" و"**روث**" يتحدثان . وقالت :

– معذرة . . هل من جديد ؟

فأجاب "**بوارو**" :

– سأوضح كل شيء بعد الفطور وحبذا لو اجتمع المدعون بغرفة المكتب في الساعة العاشرة !!

وبعد الفطور ، وقف "**بوارو**" بباب قاعة الطعام ، ونظر في ساعته ، وقال محدثا المدعوين :

– أرجو أن يتفضل السيدات والسادة بالتوجه إلى غرفة المكتب بعد خمس دقائق .

◆◆◆◆◆

أدار "**بوارو**" البصر في قاعة المكتب ، ورأى وجوه المدعوين جميعا وعليها دلائل الدهشة والحيرة، ثم دخلت السيدة "**جور**" وهي شاحبة الوجه ، بادية الضعف فقدم إليها "**بوارو**" مقعدا ، ونظرت السيدة إلى المرآة المكسورة وارتجفت وهمست :

– إن "**جرفيز**" المسكين لا يزال هنا .. ولكنه سيتحرر وينطلق بعد قليل .

سعل "**بوارو**" سعلة خفيفة وقال :

– لقد دعوتكم لأصارحكم بالحقائق عن حادث انتحار السيد "**جرفيز جور**" .. فسألته "**روث**" في حدة :

– هل أفهم من ذلك أنك عرفت الأسباب التي حملته على الانتحار ؟

– لا يا سيدتي .. .. إنني لا أعرف الأسباب التي حملت السيد "**جرفيز جور**" على الانتحار؛ لأن السيد "**جرفيز جور**" لم ينتحر .. إنه قتل .

– قتل ؟!

ترددت الكلمات في جوانب الغرفة بمختلف الأصوات . واتجهت الأنظار جميعها إلى "**بوارو**" ، بينما هتفت السيدة "**جور**" :

– قُتل ؟! كلا .. كلا ..

وقال "**هيجو**" :

– هل قلت إنه قتل ؟ ولكن ذلك مستحيل ؛ إذ لم يكن بالغرفة أحد عندما دخلنا ، وكانت النافذة مغلقة، والباب مغلق من الداخل ، والمفتاح في جيب

خالي .. فكيف أمكن قتله ؟

– إنه قتل رغم ذلك ..

فقال العميد "**بيري**" ساخرا :

– وفر القاتل من ثقب القفل .. أو من مدخنة الموقد ..

– إن القاتل فر من النافذة ، وسأريكم كيف فر .

قام "**بوارو**" بتجربة غلق النافذة من الداخل كما شهدتها "**سوزان**" ، ثم استطرد قائلا :

– أرأيتم كيف يمكن غلق النافذة من الخارج ؟ لقد رجحت منذ البداية أن السيد "**جرفيز**" لم ينتحر ، إن الرجل الذي يمجد نفسه لا يقتلها .. ثم هناك أشياء أخري ... كان المفروض أن السيد "**جرفيز**" كتب كلمة (متأسف) على ورقة أمامه ، ثم أطلق الرصاص ، ولكنه قبل أن يفعل ذلك – ولسبب ما – تحول في مقعده ونظر إلى اليمين ، لماذا ؟ لابد أن يكون لذلك سبب .. وقد عرفت السبب عندما وجدت هذه القطعة المفضضة المنزوعة من المرآة ملتصقة بقاعدة التمثال البرنزي الصغير .

قلت لنفسي : ماذا جاء بهذه القطعة المفضضة إلى هذا المكان .. ؟ عرفت الجواب .. إن المرآة لم تحطمها الرصاصة، وإنما حطمها التمثال البرنزي .. لقد كسرت هذه المرآة عمدا .ولكن لماذا ..؟

فحصت المقعد ، وتساءلت لماذا يميل الرجل إلى اليمين ثم يطلق الرصاص على رأسه ؟ إن المنتحر لا يمكن أن يفعل ذلك .. فالحادث إذن ليس حادث انتحار .. وإنما رتبت الأمور والقرائن لكي يبدو أنه حادث انتحار .

والآن أنتقل إلى مسألة أخرى مهمة هي شهادة الآنسة "**كاردويل**" ..

لقد قالت إنها هبطت السلم مهرولة؛ لأنها ظنت أن الناقوس قد دق .

ومعنى ذلك أنها قد سمعت الناقوس الأول فعلا .

والآن ، لنفترض أن السيد "**جرفيز**" كان جالسا في مقعده في الوضع الطبيعي وأطلقت الرصاصة ، فإلى أين تتجه ؟ إنها تسير في خط مستقيم فتمر من الباب إذا كان مفتوحا ، وتصطدم بالناقوس .

وهنا تتجلى أهمية شهادة الآنسة "**كاردويل**" عندما اصطدمت الرصاصة بالناقوس أحدثت صوتا خُيّل معه إلى الآنسة أنه صوت الناقوس الثاني يدعو المدعوين إلى العشاء ، وكانت هي وحدها التي سمعت هذا الصوت؛ لأن غرفتها تقع فوق الناقوس مباشرة .

إن السيد "**جرفيز**" لا يمكن أن يكون قد أطلق الرصاص على نفسه؛ لأن الرجل الميت لا يستطيع أن ينهض ويغلق الباب ، ثم يضع نفسه في الوضع المناسب ، لابد أن شخصا آخر قد فعل كل ذلك ، وإذن فالحادث ليس انتحارا ولكنه قتل، ولابد أن يكون القاتل شخصا معروفا من السيد "**جرفيز**" ..

وأنه كان واقفا بجواره يتحدث إليه ، بينما السيد "**جرفيز**" في شغل بالكتابة . وفجأة أخرج القاتل المسدس وأطلقه ثم شرع في إخفاء معالم الجريمة؛ فلبس قفازه وأغلق الباب من الداخل ووضع المفتاح في جيب القتيل.

ثم فطن القاتل إلى الصوت الذي أحدثه ارتطام الرصاصة بالناقوس ، إن هذا الصوت يدل على أن الباب كان مفتوحا .. ولهذا عمد القاتل إلى الجثة فغير وضعها، وحطم المرآة بالتمثال؛ حتى يظن أن الرصاصة اخترقت الجمجمة ونفذت إلى المرآة .. لا إلى الباب ثم إلى الناقوس .

ثم وثب القاتل من النافذة وأغلقها من الخارج ، وسار في حقول الأزهار ، حيث يمكنه طمس آثار أقدامه فيما بعد ودار حول البيت وقصد إلى قاعة الاستقبال .

صمت "**بوارو**" لحظة ثم استطرد :

– كان هناك شخص واحد فقط في الحديقة عندما أطلقت الرصاصة . وقد ترك هذا الشخص آثار أقدامه في حقل الأزهار ، كما ترك بصمات أصابعه على نافذة المكتب قال ذلك واقترب من "**روث**" واستطرد :

– ولهذه الجريمة مبرر ، لقد علم أبوك بأمر زواجك وكان يستعد لحرمانك من ثروته .

فصاحت "**روث**" باحتقار :

– هذا كذب ، ليس فيما قلته كلمة صدق واحدة . .

– إن القرائن ضدك قوية يا سيدتي . . إنها كفيلة بإقناع أية هيئة من المحلفين.

وهنا قال صوت في أحد الأركان :

– إنها لن تواجه أية هيئة من المحلفين .

– فتحولت الأنظار إلى المتكلم . . . واستقرت العيون كلها على وجه الآنسة "**لنجارد**" .

كانت شاحبة اللون ، زائغة البصر ، ترتجف من قمة رأسها إلى أخمص قدميها . وقالت :

– أنا التي أطلقت عليه الرصاص . . إنني أعترف بذلك . لقد قتلته لأسباب وجيهة . . انتظرت طويلا حتى حانت الفرصة ، وقد عرف السيد "**بوارو**" كيف يصور الجريمة . . . أنا التي أطلقت الرصاص وكتبت كلمة (متأسف) بخط يشبه خطه .

ثم التفتت إلى "**بوارو**" وسألته :

– هل تعرف ماذا فعلت بعد ذلك ؟

– نعم ، أعرف إنك التقطت الرصاصة من البهو ، وألقيت بها على مقربة من المرآة حين حطمنا الباب عنوة ، ودخلنا غرفة المكتب بغير نظام ، وأعرف أنك سرقت قلم الرصاص ... وأعرف أنك نفخت كيس الورق، وضربته بيدك كما يفعل الأطفال فأحدث الدوي الذي ظنه البعض صوت الرصاصة وظنه آخرون صوت سيارة ، ولكنه كان في الواقع مجرد حيلة لإثبات وجودك مع الآخرين بعيدا عن مكان الجريمة .

فهتف السيد "**فوريس**" :

– يا لها من قصة عجيبة ! ولكن يُخيّل إليَّ أنها جريمة لا مبرر لها ..

فصاحت الآنسة "**لنجارد**" :

– بل إن لها ما يبررها .. والآن . ماذا تنتظرون .. ؟لماذا لا تتصلون بالبوليس؟

فقال "**بوارو**" في رفق :

– أرجوكم إخلاء الغرفة .. وأنت يا سيد "**فوريس**" أرجوك الاتصال بالعقيد "**ريدل**" ، وسأبقى هنا حتى يحضر .

فانصرف المدعوون وهم يختلسون نظرات الذعر والهلع والدهشة إلى المرأة النحيلة التي تهالكت على أحد المقاعد ودفنت وجهها بين كفيها . وكانت "**روث**" آخر من غادر الغرفة .. قالت وهي تنظر إلى "**بوارو**" مستنكرة" :

– أرأيت !! كنت منذ لحظة تتهمني بقتل أبي .

فهز "**بوارو**" رأسه وأجاب :

– كلا .. كلا .. لم يخطر ذلك ببالي قط .

وانصرفت "**روث**" فقالت الآنسة "**لنجارد**" :

– إنك اتهمتها لترغمني على الاعتراف ، أليس كذلك ؟

أومأ "**بوارو**" برأسه علامة الإيجاب . فسألته :

– هل لك أن تنبئني كيف ارتبت فيّ ؟

– كانت هناك قرائن كثيرة ، منها أن السيد "**جرفيز**" كان رجلا متعجرفا ويستحيل أن يتحدث عن ابن أخته إلى امرأة غريبة عن الأسرة ، ومنها أنك حاولت إيجاد مبرر لانتحاره فنسبت السبب إلى "**هيجو ترانت**" ... إمعانا في دحض فكرة القتل ، ومنها كيس الورق الذي ألقيت به في سلة المهملات بقاعة الاستقبال؛ إذ من غير المألوف أن يوجد مثل هذا الكيس في مثل ذلك المكان .

– وهل تعرف الحافز إلى الجريمة ؟

– أظن ذلك ... إنه الدفاع عن سعادة "**روث**" .. لابد أنك علمت بعلاقتها بالكابتن "**ليك**" ، وعرفت بحكم اتصالك بمكتب السيد "**جرفيز**" أنه ينوي تعديل وصيته؛ لإرغامها على الاقتران بـ"**هيجو ترانت**" ، فقررت القضاء عليه قبل أن يقدم على هذه الخطوة .

فصاحت المرأة :

– إنه كان وحشا عنيدا جاهلا ، وما كنت لأسمح له قط بتدمير حياة "**روث**" .

– هل هي ابنتك .. ؟

– نعم، إنها ابنتي .. كنت أتحرق شوقا إلى رؤيتها ، وعندما علمت أنه يبحث عمن يعاونه في كتابة تاريخ الأسرة تقدمت إليه في الحال ، وأنا واثقة بأن أحدا من أفراد الأسرة لن يعرفني .. لقد انقضت سنوات كثيرة منذ رأتني السيدة "**جور**" وزوجها لآخر مرة .. إنني أحب السيدة "**جور**" ولكنني أكره هذه الأسرة التي عاملتني بقسوة وغلظة واحتقار ..

وصمتت لحظة ثم استطردت :

– بحسبي أنني دافعت عن سعادة "**روث**" ... إنها ستعيش سعيدة بقية حياتها .. بشرط ألا تعلم شيئا عني .

وكانت عبارتها الأخيرة تنطوي على توسل ورجاء، فأجاب "**بوارو**" في رفق:

– إنها لن تعلم ذلك مني .

– شكرا لك .

وبعد نصف ساعة ، عندما جاء العقيد "**ريدل**" ورجاله وخرجوا برفقة الآنسة "**لنجارد**" وقفت "**روث**" أمام نافذتها وشيعتها بنظرة عطف وإشفاق . ثم قالت:

– يا لها من سيدة نبيلة ! لقد آثرت الاعتراف على السماح لهم باتهامي .. كم يؤلمني أن يحاكموها بتهمة القتل .

فأجاب "**بوارو**" بلطف :

– لا تحزني ، فإنها لن تحاكم ، لقد قال لي طبيب البوليس الذي كانت تتردد على عيادته الخاصة ، إنها مصابة بمرض القلب ، وإنها لن تعيش أكثر من بضعة أسابيع .

– يسرني أن أعلم ذلك .. مسكينة هذه السيدة .. ترى لماذا ارتكبت هذه الجريمة ؟!!

تمّت بعون الله